

عالم البنزخ

المربع الذی للمسلمین
شیخ صالح الطائی
اساتذہ لفقہ والحدیث والتفسیر والاعمال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله «الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملاً». ثم تفضل على الناس الأنبياء والعقل رسلاً وحجة وسبيل هداية ونجاة من أهوال القبر.

لقد اقر الفلاسفة بان الموت مرحلة وحالة ينتقل بها العبد إلى عالم آخر لأن الروح لا تنفى بفناء الجسد ذلك إن ولوج الروح للبدن بداية حياة أبدية مختلفة في النوع ومغايرة في الاعتبار والمكان مطلقاً.

لقد شاء الله عز وجل أن تكون الدنيا مزرعة الآخرة ومناسبة للإبتلاء ودار امتحان، وعلى نوع الأفعال في الدنيا يكون المقام في الآخرة وبالاستعداد الحسن لعالم البرزخ وحياة القبر تكون السلامة مما فيه من أهوال وحساب ومسائلة وهذا الكتاب سعي متواضع لبيان أحكام الاحتضار وعرض لبعض وجوه عالم القبر واسباب الوقاية والاحتراز عند ولوجه، خاصة وان الندم والحسرة آنذاك لا تنفع، والإقالة والاستدراك معدوم.

ويعتبر عالم البرزخ عالماً مستقلاً من حيث الزمان والمكان والماهية وحياة تتوسط الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

قال تعالى: «ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون». وقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في حديث قال: (ولكني والله أتخوف عليكم من البرزخ). فقال عمر بن يزيد: (وما البرزخ؟) قال: (القبر منذ حين الموت).

انه دعوة للاستعداد لعالم البرزخ وما فيه من الأحوال
بسلاح التقوى وصيغ التوبة والعمل الصالح سيما وان التكليف فيه
منقطع.

وسيبقى البحث في هذا الموضوع وجهاً مشرقاً وأصلاً
من أصول الفلسفة الإسلامية ومرتكزاتها العقائدية ودعوة كريمة
لمعرفة الدنيا بموازن الحكمة وصيغ الحقيقة والواقع وما يؤدي إلى
الاستثمار الأمثل لأيامها وما سخر الله فيها لبني آدم

المؤلف

البرزخ

قال تعالى ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾^(١).

البرزخ لغة هو الحاجز والمانع. وفي الاصطلاح أهوال القبر حتى البعث والنشور. وعالم ما بين الدنيا ويوم القيامة.

والآية إخبار إجمالي عن عالم ما بعد الموت وما فيه من الامتناع من التلاقي والحجز عن العمل وإتيان الصالحات، وان سأل الرجعة أو العودة إلى الدنيا، لذا يمكن اعتبارها إنذاراً وتحذيراً ودعوة إلى الاستعداد إلى القبر وما فيه وما بعده، لما له من أحكام خاصة، وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: (ولكني والله أتخوف عليكم في البرزخ). قيل: وما البرزخ؟ قال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة^(٢).

وقد جاءت نصوص مستفيضة تفيد أن الميت ينتقع وهو في قبره من عمله الصالح ومما يهدى إليه من أهل الدنيا، بل جاء في الحديث عن بعض الصحابة إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: اهدوا لموتاكم، فقلنا يارسول الله وما هدية الأموات؟ قال: الصدقة والدعاء. وقال: إن أرواح المؤمنين تأتي كل جمعة إلى السماء الدنيا بجذء دورهم وبيوتهم ينادي كل واحد منهم بصوت حزين باكين: يا أهلي، يا ولدي ويا أبي ويا أمي وأقربائي،

(١) سورة المؤمنون ١٠٠.

(٢) انظر بحار الأنوار ٦/٢٦٧.

اعطفوا علينا، يرحمكم الله بالذي كان في أيدينا، والويل والحساب علينا والمنفعة لغيرنا.

انه دليل على أن الأموات لم تنقطع صلتهم بالدنيا وان الثواب يصلهم، ليس هذا فحسب بل إن أرواحهم تطل على الرحم، وتناشده وترجو الخير منه وله.

ملك الموت

لقد خلق الله الملائكة أجساما نورانية ذات قوة خارقة وهي مع ذلك دائبة في طاعة الله لا يعصون لله أمرا منقطعين إلى عبادته في خشوع.

وجعل الله لكل واحد منهم وظيفة يؤديها من غير تلكأ أو تردد أو خطأ. وبعض من تلك الوظائف ما يتعلق بشؤون الخلاق من الأنس والجن وأحوالهم في الدنيا والآخرة.

وحيث إن الإنسان مكتوب عليه مغادرة عالم الدنيا إلى عالم البرزخ بانفصال الروح عن الجسد فان الملك الموكل بذلك من اعظم الملائكة شأنًا وأكثرهم هيبة وفي ذلك موعظة وإنذار ودعوة إلى الاستعداد لذلك الموعد المرعب واللقاء المركب، لقاء الموت وملك الموت وضنك القبر وشدة ضيقه.

وفي حديث الإسراء قال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ثم مررت بملك من الملائكة جالس على مجلس وإذا جميع

الدنيا بين ركبتيه وإذا بيده لوح من نور ينظر فيه مكتوب فيه كتاباً ينظر فيه لا يلتفت يميناً ولا شمالاً الا مقبل عليه به كهيئة الحرير فقلت من هذا يا جبريل ادني منه حتى أكله فادناني منه قال هو ملك الموت فسلمت عليه وقال له جبريل هذا نبي الرحمة أرسله الله الى العباد فرحب بي وحياني بالسلام وقال ابشر يا محمد فاني أرى الخير كله في امتك فقلت الحمد لله المنان ذي النعم على عباده ذلك من فضل ربي ورحمته عليّ. فقال جبرئيل وهو اشد الملائكة عملاً فقلت أكل من مات او هوميت فيما بعد هذا تقبض روحه. قال: نعم. قلت وتراهم حيث كانوا وتشهدهم بنفسك؟ فقال: نعم. فقال ملك الموت ما الدنيا كلها عندي فيما سخره الله لي ومكنني عليها الا كالدراهم في كف الرجل يقبله كيف يشاء. وما من دار الا وانا أتصفحها كل يوم خمس مرات واقول اذا بكى اهل الميت على ميتهم. لا تبكوا عليه فان لي فيكم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم احد. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كفى بالموت طامة يا جبرئيل. فقال جبرئيل ان ما بعد الموت وأطم والطم من الموت.

وفي رواية مسندة عن الإمام علي بن موسى الرضا عن ابائه عليهم السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لما اسري بي الى السماء رأيت في السماء الثالثة رجلاً قاعداً،

رجل له في المشرق ورجل في المغرب وبيده لوح ينظر فيه، ويحرك رأسه فقلت: يا جبرئيل من هذا؟ فقال: ملك الموت.

ولكل انسان لقاء مع ملك الموت يكون خاتمة ليامه في الدنيا، ومع حتمية هذا اللقاء واهميته وشدة ساعته فإن الانسان لا يلتفت اليه الا قليلاً لذلك جعل الله موت الافراد من الجنس البشري عبرة وموعظة حيث يتفكر الناس بالموت حقيقة واقعة قريبة من كل واحد منهم ليكون في ذلك تذكرة بما بعد الموت واتخاذ ما فيه درساً للاستعداد له بالمبادرة الى التوبة وفعل الصالحات خاصة وان زيارة ملك الموت لقبض الروح لم يعرف اوانها ولا مكانها قال تعالى: ﴿وما تدري نفس باي ارض تموت﴾^(١) فموضع وفاة اي انسان لا يعلمه الا الله عز وجل وبذلك ورد الحديث عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك اوانه الا ان يشاء الله. وفي الحديث ان ملك الموت لا يعلم من يموت ولكن الامر ينزل اليه وفيه اسم الذي حانت وفاته والناس في ذلك كأوراق شجرة كلها خضراء الا ورقة الذي جاء اجله.

قال اسباط ابن سالم مولى ابان للإمام جعفر الصادق عليه السلام: جعلت فداك يعلم ملك الموت بقبض من يقبض؟

(١) سورة لقمان ٣٤.

قال: لا، إنما هي صكك تنزل من السماء: اقبض نفس فلان بن فلان^(١).

ولعل للدعاء والصدقة وافعال البر والصلاح اثراً في النسيئة في العمر وطول الاجل ولحكومة قوله تعالى ﴿يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب﴾^(٢). ومن ذلك يمكن تصور قبضه للأرواح في ساعة واحدة مع ان بعضها في المشرق وبعضها في المغرب للقدرة التي جعل الله فيه من اجل اداء وظيفته التي غلبت على اسمه لما لها من رهبة يفرح منها كل انسان، عن الصادق عليه السلام: قيل لملك الموت عليه السلام كيف تقبض الأرواح وبعضها في المغرب وبعضها في المشرق في ساعة واحدة؟ فقال: ادعوها فتجيبني. قال: وقال ملك الموت ان الدنيا بين يدي كالتصعة بين يدي احدكم. يتناول منها مايشاء.

هذا بالإضافة الى ماورد في الروايات والابخار ان للملك الموت اعواناً من الملائكة يصدرون عن امره بعضهم يتصف بالرحمة يرسله لقبض ارواح المؤمنين واهل الطاعة، وبعضهم يتصف بالغضب والنقمة يبعثه لقبض ارواح الكفار واصحاب المعاصي. وما يأتيه هؤلاء الملائكة منسوب اليه ولكن ذلك لايعني ان المراد بملك الموت الجنس كما ذهب الى ذلك أحد كبار

(١) مجاز الأنوار ٦/١٤٥.

(٢) سورة الرعد ٣٩.

المفسرين مستدلاً بقوله تعالى ﴿توفته رسلنا﴾ وقوله ﴿توفاهم الملائكة﴾

والحقيقة انه لا تناقض في القرآن ولكن آياته يفسر بعضها بعضاً فضلاً من الله ورحمة فقوله تعالى ﴿الله يتوفى الانفس حين موتها...﴾^(١). وقوله تعالى ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿توفتهم رسلنا وهم لا يفرطون...﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم...﴾^(٤) تفيد ان ارادة الموت والحياة بيد الله تعالى وانه سبحانه سخر لذلك بعض ملائكته الذين ﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعلمون﴾^(٥).

ولم يرد ذكر ملك الموت في القرآن الا في الآية اعلاه من سورة السجدة. وقد جاء في الاخبار النبوية الشريفة ان ملائكة تحضر برفقته عند قبض روح العبد، وان اسمه عزرائيل وانه من كبار الملائكة واعظمهم منزلة عند الله عز وجل. بالاسناد عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله : ان الله تبارك وتعالى اختار من كل شيء أربعة: اختار من الملائكة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت.

(١) سورة الزمر ٤٢ .

(٢) سورة السجدة ١١ .

(٣) سورة الانعام ٦١ .

(٤) سورة النحل ٢٨ .

(٥) سورة الانبياء ٢٧ .

ولقاء الانسان بملك الموت أول ساعة من ساعات الجزاء المحض حيث تتوقف دورة العمل والامتحان لذلك فإن الطريقة التي يتعامل فيها ملك الموت واعوانه مع صاحبهم الذي فوض اليهم قبض روحه بعد ان كانوا له تاركين وعن ايدائه ممنوعين . تتوقف في طبيعتها على سنخ عمله وصلاح أفعاله، فطوبى لمن استعد لهذا اللقاء بالتقوى والصلاح، لينعم بالطمأنينة ساعة توديع الدنيا وميادين الابتلاء فيها . قال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: اذا رضي الله عن عبد قال: ياملك الموت اذهب الى فلان فأتني بروحه، حسبي من عمله، قد بلوته فوجدته حيث أحبّ، فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم قضبان الرياحين واصول الزعفران، كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه، ويقوم الملائكة صفين لخروج روحه، معهم الريحان، فاذا نظر اليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ، فيقول له جنده: مالك ياسيدنا؟ فيقول اما ترون ما أعطي هذا العبد من الكرامة؟ أين كنتم عن هذا؟ قالوا: جهدنا به فلم يطعنا^(١) .

ان فزع المؤمن من الموت وحذره الدائم منه واستحضاره في الذاكرة في كل مناسبة يتحول ساعة الموت الى استبشار وسرور حيث تفاجئه السكينة نازلة وتغشاها الطمأنينة بسبب ما يحملته معه من كوز العبادة ووجوه البر وما تزود به من التقوى

(١) بحار الأنوار ٦/١٦١ .

وحسن الإسلام في الحياة الدنيا . وفي رسالة الهيثم بن واقد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رجل من اصحابه وهو يجود بنفسه فقال: يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن . فقال: ابشر يا محمد فأني بكل مؤمن رفيق . واعلم يا محمد اني اقبض روح ابن آدم فيجنح اهله فاقوم في ناحية من دارهم فأقول: ما هذا الجزع فوالله ماتعجلناه قبل اجله . وما كان لنا في قبضه من ذنب، فإن تحسبوه وتصبروا تؤجروا . وان تجزعوا تأثموا وتوزروا، واعلموا ان لنا فيكم عودة ثم عودة فالحذر الحذر انه ليس في شرقها ولا في غربها أهل بيت مدر ولا وبر الا وانا اتصفحهم في كل يوم خمس مرات، ولأنا اعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم . ولو اردت قبض روح بعوضة ما قدرت عليها حتى يأمرني ربي بها . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انما يتصفحهم في مواقيت الصلاة، فان كان ممن يواظب عليها عند مواقيتها لقتنه شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله، ونحى عنه ملك الموت إبليس^(١) .

ان ساعة حضور ملك الموت وسكرات الموت أمور مكروهة لذاتها عند أكثر الناس ولكنها باب للخشية من الله عز وجل ومناسبة يبعث استحضارها في النفس روح الصلاح

(١) ن.م. ١٦٩/٦ .

والزهد . وادراك حتمية لقاء ملك الموت . عن حمزان قال:
سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﴿إذا جاء أجلهم
لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ . قال : هو الذي سمي للملك
الموت في ليلة القدر .

ان ساعة الموت ولقائه مناسبة يشعر فيها المؤمن بالتكريم
والجزاء الحسن على اختياره سبل الهداية وطرق الرشاد (سئل
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يتوفى ملك الموت
المؤمن ؟ فقال: انّ ملك الموت ليقف من المؤمن عند موته موقف
العبد الذليل من المولى فيقوم هو واصحابه لايدنو منه حتى يبدأه
بالتسليم ويشره بالجنة)^(١) .

ان لقاء ملك الموت وكيفيته تشغل بال المسلم وخاصة في
مناسبات نزول مصيبة الموت والاجتماع فيها وكل انسان يأمل
اللطيف ويرجو التخفيف عند دنو اجله . وهو رجاء غير
مستحيل ولا بعيد المنال لسعة فضله تعالى، وقد ارشد النبي محمد
صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين الى باب يؤدي الى الراحة
ساعة الموت [بالاسناد عن ابي سعيد الخدري قال: قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم : من صام من رجب اربعة
وعشرين يوماً فاذا نزل به ملك الموت تراءى له في صورة شاب،
عليه حلة من ديباج اخضر، على فرس من افراس الجنان وبيده

(١) بحار الأنوار ١٦٧/٦ .

حرير اخضر ممسك بالمسك الاذفر، وبيده قدح من ذهب مملوء من شراب الجنان. فسقاه اياه عند خروج نفسه يهون عليه سكرات الموت، ثم يأخذ روحه في تلك الحرير فيفوح منها رائحة يستنشقها اهل سبع سماوات فيظل في قبره ريان حتى يرد حوض النبي صلى الله عليه واله وسلم^(١).

هذا وقد يكون التخفيف عن المؤمن ساعة الموت برد نفسه وارجاع الروح الى البدن عند النزاع ذلك من اجل لايشق عليه مفارقة الدنيا بصورة مفاجئة، او لتفضله تعالى يجعله يرى منزله في الجنان وما ينتظره من النعيم فيرضى عندها بالموت، ويصبح هيناً عليه ويأتيه وهو مشغول، ومثلما يتعلق الحزن بالماضي فان الخوف يتعلق بالمستقبل اي ان الملائكة تبشرهم بمغفرة الذنوب فيما يخص الحياة قبل الموت، وما خلفوا من ولد واهل ومال وربما يدل على ذلك قوله تعالى «اما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً...»^(٢) وبالأمّن في عالم القبر والحساب وبذلك يكون الموت مناسبة يتلقى فيها المؤمن البشارة بما اعد له، ويكون مسروراً بما سينقل له. وقد يكون تكرار رد الروح لمحو الذنوب، وتخفيف تبعاتها، ومناسبة للاستغفار، بالاضافة الى ما يلحق المحتضر من الاجر بسبب اعتبار واتعاظ الاخرين من حالته. وقد تجتمع

(١) بجز الأنوار ٦/١٦٧.

(٢) سورة الكهف ٨٢.

الاسباب وتداخل، وقد روي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: ان الله عز وجل يأمر ملك الموت فيرد نفس المؤمن ليهون عليه ويخرجها من احسن وجهها فيقول الناس: لقد شدّد على فلان الموت، وذلك تهوين من الله عز وجل عليه. اي ان الذي يظنه الناس تشديداً انما هو تخفيف ورحمة بالمؤمن ساعة الوفاة، وباب للاستغفار والتوبة ونطق بالشهادتين يفتح الله ساعة الموت، قال تعالى: ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾. وروي عن انس قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية ثم قال قد قالها ناس ثم كفر اكثرهم فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها ومن الصعب على الانسان مغادرة الدنيا من غير تردد بعد ان عاش فيها ايام حياته وتنعم بملذاتها من الطيبات وكانت تكرمه حيث يلزمه النهار بالضياء والحركة والسعي ويودعه ليتركه مع الليل وما فيه من سكينة وهدوء ولذلك تراه جزعاً ساعة الموت، ولكن الباري عز وجل ينظر له بعين الرأفة ولا يؤاخذة على حبه لما انعم عليه به في الحياة الدنيا. عن ابي حمزة الثمالي قال: سمعت الامام جعفر الصادق عليه السلام يقول: قال الله تبارك وتعالى: ماترددت عن شيء انا فاعلمه كترددني عن المؤمن فأني احب لقاءه ويكره الموت فأزويه عنه.

ويعيش المؤمن حالة توديع ذاتية في ساعة مغادرته الدنيا
تشترك فيها جميع اركان بدنه واعضاء جسمه فقد جاء في
الحديث: ان العبد ليعالج كرب^(١) الموت وسكراته، ومفاصله يسلم
بعضها على بعض تقول: عليك السلام تفارقني وافارقك الى يوم
القيامة.

اما بالنسبة للكافر فان الموت اول مراحل العذاب اذ يرى
فيه من العذاب والاذى ما يعجز اهل الدنيا عن تحمله متفرقاً، إذ
ان ملك الموت واعوانه من رسل الله وجنوده يريدون ان ينتقموا
من الذي جحد وكفر وعصى مستكبراً واختار الموت قبل ذلك
بزمان حين سلك سبل الضلالة. وروي ان ابراهيم عليه السلام
قال لملك الموت هل تستطيع ان تريني صورتك التي تقبض فيها
روح الفاجر. قال: لا تطيق ذلك. قال: بلى. قال: فاعرض عني
فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود قائم الشعر منتن الريح
اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان فغشي
على ابراهيم ثم افاق فقال: لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة
وجهك لكان حسبه.

قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ اذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ
يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَاَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٢). يكون
تقدير جواب (لو) المحذوف لرأيت امراً عظيماً وعقاباً اليماً

(١) الكرب: الغم الذي يأخذ بالنفس وفي الدعاء: يامفرج عن المكروبين.

(٢) سورة الأنفال ٥١.

ومشهداً فيه للكافرين خزي ونكال وربما كان سبب الحذف لتصور وجوه كثيرة محتملة وحادثة، ولكي يكون ذلك أكثر تأثيراً ولمناسبته من جهة البلاغة ان المعنى ستضربهم الملائكة عند الموت. والاية نزلت يوم بدر لذلك روى الحسن البصري ان رجلاً قال يا رسول الله اني رأيت بظهر ابي جهل مثل الشرك، فقال: ذاك ضرب الملائكة.

واختلف في تفسير قوله تعالى: ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ هل ان الملائكة تقول للكافرين استخفافاً بهم ووعيداً وان ذلك ينتظرهم يوم القيامة او انه عبارة عن التهاب النار في جراحات الكفار بسبب ما كان يضربهم الملائكة يوم بدر بمقاع من حديد، ولا مانع من الجمع بين تلك الوجوه واعتبار كل منها مصداقاً وتفسيراً للآية الكريمة .

وعن احمد بن حسن الحسيني، عن الامام حسن العسكري عن آبائه عليهم السلام قال: قيل للصديق عليه السلام: صف لنا الموت قال عليه السلام: للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كله عنه، وللكافر كلسع الافاعي ولدغ العقارب او اشد . قيل: فأن قوماً يقولون: انه اشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض ورضخ بالاحجار . وتدوير قطب الارحية على الاحداق . قال: كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين، الاترون منهم من يعاين تلك الشدائد،

فذلكم الذي هو اشد من هذا لا من عذاب الآخرة فانه اشد من عذاب الدنيا، قيل: فما بالنار كافرأً سهل عليه النزع فينطفئ وهو يحدث ويضحك ويتكلم، وفي المؤمنين ايضاً من يكون كذلك، وفي المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد؟ فقال: ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه. وما كان من شديدة فتمحيصه من ذنوبه ليرد الآخرة نقياً، نظيفاً مستحقاً لثواب الابد، لامانع من دونه، وما كان من سهولة هناك على الكافر فليوفى اجر حسناته في الدنيا ليرد الآخرة وليس له الا ما يوجب عليه العذاب وما كان من شدة على الكافر هناك فهو ابتداء عذاب الله له بعد نفاذ حسناته ذلكم بأن الله عدل لا يجر (١). فكما يصيب الله بنعمته ورزقه في الدنيا البر والفاجر، ليكون رحمة للمؤمن ونقمة وباباً للحساب على الكافر، فان اختلاف صور الموت لا على أساس الايمان باب اقتان ومناسبة للثواب او العقاب فان اتحدت كيفية الموت للمؤمن والكافر فانهما متغايران في الاعتبار وعواقب الأعمال.

ان الحديث الوارد بان الايمان قسمان، ايمان مستقر وايمان مستودع يبدو احد افراد مصاديقه خارجاً ساعة الموت، حيث يسلب الثاني اي المستودع ساعة الموت باغواء الشيطان وكيدته ولذلك ورد دعاء العديلة طرداً للشيطان وإغوائه، وقيل

(١) علل الشرائع ١٠٨ .

ان العديلة اسم شيطانه موكله من جانب إبليس ليعدل الانسان
حين الموت من الايمان والهدى الى الباطل والزيف.

وربما كان اللقاء ساعة فرح للمؤمن حيث يرى نتائج عمله
الصالح يتجسد باستقبال مبارك وودي من قبل ملك الموت
واعوانه الذين يهونون عليه شدة الموت ويخففون عنه وطأة فراق
الاحبة والم مغادرة الدنيا التي اتخذها داراً وموطناً ايام عمره
رحمة من الله عز وجل في لحظة الموت التي تعتبر عالماً مستقلاً لما
فيها من البلاء والخوف والجزع ولانها محطة انتقال رهيبة ونقطة
تحول الى عالم مملوء بالاهوال ذات الآجال التي يجهل الناس مدة
زمانها واحقابها .

روي في دعوات الراوندي بأن المحتضر يحضره صف من
الملائكة عن يمينه عليهم ثياب خضر، وصف عن يساره عليهم
ثياب سود، ينتظر كل واحد من الفريقين في قبض روحه، والمريض
ينظر الى هؤلاء مرة والى هؤلاء اخرى، ويبعث الله ملكاً الى
المؤمن يبشره، ويأمر ملك الموت ان يتراءى له في احسن صورة
فاذا اخذ في قبض روحه وارتقى الى ركبته.

أنها ساعة من ساعات الجزاء، ولكنها لا تظهر الا
لصاحبها، وانما خفيت تفاصيلها على الناس لاحكام الابتلاء في
الدنيا .

الحضور المبارك

لقد تواترت الاخبار بان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يحضر عند المؤمن ساعة موته يبشره ويهون عليه سكرات الموت ويجعله يقبل على الآخرة بشوق وليشتغل ساعة الموت في الاستغفار واخلص التوبة.

ان حضور رسول الله صلى الله عليه واله وسلم دعوة فورية للتوبة والاستغفار لما فيها من توكيد لصدق مسالك الايمان ودروب الاسلام. لما ورد في مرسلة ابن فضال عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته، ثم قال ان السنة لكثير من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته، ثم قال ان الشهر لكثير ثم قال من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته ثم قال وان الجمعة لكثير، من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته، ثم قال ان يوماً لكثير من تاب قبل ان يفارق قبل الله توبته^(١).

ان حضور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند المؤمن ساعة وفاته فرصة للانابة وربما يلقن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم المسلم ساعة الاجل ما فيه خلاصه او تخفيف العذاب، خاصة وان بركة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم

(١) الوسائل ٢ / ٥٢٨ طبعة حجرية.

على الناس متصلة قال تعالى ﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾^(١).
ومثلما انعم الله على اهل مكة ولم يتليهم بعذاب الاستئصال او
نحوه لان النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم بين ظهرانيهم
كذلك فان الاستغفار علة لدرء العذاب ودفعه قال تعالى ﴿وما
كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون﴾^(٢). وليس ببعيد عن رحمته تعالى ان يأذن لنبيه
الكريم صلى الله عليه واله وسلم بالحضور عند من امن به
وصدق برسالة ليهديه الى سبل الاستغفار ولاعاته وبره،
بالاسناد عن ابي بصير عن الامام جعفر الصادق عليه السلام
قال: اذا حيل بينه -اي المحتضر- وبين الكلام أتاه رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم ومن شاء الله، فجلس رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم عن يمينه، والآخر عن يساره، فيقول له
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: اما ما كنت ترجو فهو ذا
امامك، واما ما كنت تخاف منه فقد امننت منه، ثم يفتح له باب
الجنة فيقول: هذا منزلك في الجنة فان شئت رددناك الى الدنيا
ولك فيها ذهب وفضة، فيقول: لاحاجة في الدنيا، فعند ذلك
يبيض لونه، ويرشح جبينه، وتقلص شفاهه وتنتشر منخراه،

(١) سورة الانبياء ١٠٧.

(٢) سورة الانفال ٣٣.

وتدمع عينه اليسرى، فاي هذه العلامات رأيت فأكف بها... الحديث^(١).

ولكن ورد في رواية عن الامام الصادق عليه السلام ايضاً بان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يمثل له، اي ان صورة النبي تبدوله فيعرفه بها فيفرح بذلك ويستبشر بالعاقبة. بالاسناد عن سدير الصيرفي قال: قلت لابي عبد الله الصادق عليه السلام: جعلت فداك يا ابن رسول الله هل يُكره المؤمن على قبضه روحه؟ قال: لا والله، انه اذا اتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت: يا وليّ الله لاتجزع، فوالذي بعث محمداً صلى الله عليه واله وسلم لانا ابر بك واشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر، قال: ويمثل له رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والائمة من ذريتهم. فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والائمة ورفقاؤك. قال: (فيفتح عينيه فينظر فينادي روحه منادٍ من قبل رب العزة فيقول: يا ايها النفس المطمئنة... الحديث).

ولاتفاني بين الرويتين ذلك ان الله واسع كريم، وان الملاك في الامر هو ادخال الاستبشار الى نفس المؤمن برؤية النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم، وشعوره بان عمله في الحياة الدنيا لم

(١) مجار الانوار ٦/١٩٧.

يذهب سدىً وأنه يقدم على احوال الآخرة، والشفاعة غير بعيدة عنه او ان الطريق اليها ليست موحشة، بل انها مزدانة بالانوار المملوكة، وان الذين اهتدى بهداهم في الحياة الدنيا حضروا لينروا له دروب الآخرة، الرهيبه قال تعالى: ﴿يا أيها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً﴾^(١)

ولا يبعد تعلق أرواح الاولياء وتجسدها في اجساد مثالية وان يجعل الله لهم القدرة على الحضور في أكثر من مكان وعند أكثر من ميت في ساعة واحدة، وان يكون حضور الانبياء والاولياء عند الميت بصور لطيفة لا يراها الا المحتضر.

ان حضور النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم واولياء الله في حياة المؤمن غير منعدم في الحياة الدنيا ايضاً، ولكنه قد لا يدرك ذلك الا بالوجدان، ولا يستطيع الذهاب الى القطع بالتأثير او الاستدلال بوضوح ظهوره بسبب الطبيعة التكوينية لوجود الانسان في الحياة الدنيا باعتبارها دار امتحان وبلاء، ولكن الغطاء ينكشف عن عينيه عند الموت فتتحقق الرؤية التي تشكل في الحقيقة ذات الحضور من حيث ماهية المنفعة فضلاً عن عظيم الحاجة اليها.

(١) سورة الاحزاب ٤٦ .

ولانتحصر رؤية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند الموت بالمسلمين فقط بل ان أفراد الجنس البشري جميعهم يرونه ساعة الموت. ليعلم غير المسلم ساعتها ان محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، وان عدم الايمان برسالته ضرر وخسارة فادحة وسبب للحرمان من ابواب الرحمة والعفو والتخفيف. روي عن الامام محمد الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾^(١) انه قال: ليس من احد من جميع الاديان يموت الا رأى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وامير المؤمنين حقاً من الاولين والآخرين. وفي الآية قال الامام جعفر الصادق عليه السلام: هو رسول الله صلى الله عليه واله وسلم. اي ان الضمير في (به) عائد الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وذهب الى هذا القول بعض المفسرين كعكرمة.

وذكرت في الآية اقوال اخرى منها ما ورد (عن شهر بن حوشب انه قال: قال لي الحجاج: آية ما قراتها الا تخالج في نفسي شيء منها: يعني هذه الآية، وقال: اني اوتي بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك، فقلت: ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا: يا عدو الله اتاك عيسى نبياً فكذبت به، فيقول امنت انه عبد نبي، وتقول

(١) سورة النساء ١٥٩.

للنصراني: اتاك عيسى نبياً فرعمت انه الله او ابن الله، فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لاينفعه ايمانه قال: وكان متكأً فاستوى جالساً فنظر اليّ وقال: ممن؟ قلت: حدثني محمد بن علي ابن الحنيفة فأخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال: لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها . قال الكلبي فقلت له ما اردت الى ان تقول: حدثني محمد بن علي ابن حنيفة؟ قال: اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنيفة^(١) . ولاتنافي بين الروايتين لامكان الجمع بينهما مع احتمال التوالي في المسئلة واطهار الحجة . وان كانت الرواية الاولى أكثر اعتباراً لانها رويت عن المعصوم كما انها أكثر مناسبة لسياق الآية . كذلك فان الايمان في تلك الحالة لايرفع العذاب لانه جاء متأخراً عن زمان التكليف ومدة الابتلاء . كما اقرار فرعون حين ادركه الموت وغمرته امواج البحر كما ورد في التنزيل (آمنت انه لاله الا الذي آمنت به بنو إسرائيل)^(٢) .

وقد تدمع عين المحتضر ساعة الموت ولذلك اسباب متعددة ولكنها عند المؤمن عنوان الاستبشار برؤية رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والفرح بحضوره في تلك الشدة وعندما سئل الامام جعفر الصادق عليه السلام عن الميت تدمع عينه عند

(١) الزمخشري/الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل /١ / ٥٨١ .

(٢) سورة يونس . ٩٠ .

الموت. قال عليه السلام: ذاك عند معاينة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فيرى مايسرّ (١).

لذلك فان حضور النبي صلى الله عليه واله وسلم عند الميت يمكن ان يكون مختلفاً وعلى وجوه متعددة كل حسب عمله ومن تلك الوجوه:

١- ان يحضر النبي صلى الله عليه واله وسلم ويراه المحتضر عند ساعة الوفاة من غير ان يتكلم النبي صلى الله عليه واله وسلم وذلك ليستبشر المحتضر ويفرح ان كان مؤمناً ويحزن ان كان كافراً ويتألم بمرارة لجحوده نبوة خاتم المرسلين وفوات فرص الاستدراك وساعات التوبة والانتقاد للاسلام.

٢- ان يكون حضور النبي صلى الله عليه وآله وسلم مناسبة ليتعامل ملك الموت مع الميت على ضوء موقفه من الرسالة الحمديّة وليكون حجة على الميت اوله. فيتوقف الكافر عن الاعتراض عما يلاقيه من شدة قبض روحه او الميل الى استغرابه. بينما يزداد المؤمن برؤية النبي صلى الله عليه واله وسلم رضاً ويركن الى الطمأنينة لما سار عليه من اعتقاد واعتمده من الافعال الصالحة والفرائض الدينيّة التي تعاهدها المسلمون عن النبي صلى الله عليه واله وسلم. ويشعر ساعتها ان الله انعم عليه بالتوفيق في دار الابتلاء، وانه على مشارف

(١) مجاز الانوار ٦/١٩١.

التعظيم الخالد وان تصديقه بنبوّة محمد لم يذهب سدىً ولم يكن الا حقاً وان ثماره أينعت وحن أوان اقتطفها . قال امير المؤمنين عليه السلام: تمسكوا بما امركم الله به فما بين احدكم وبين ان يغتبط ويرى ما يحب الا ان يحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما عند الله خير وابقى، وتأتية البشارة من الله عز وجل فتقر عينه ويحب لقاء الله.

٣- ان يحضر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليتدخل مباشرة في مراحل قبض روح الميت وطريقة مغادرته الدنيا فيوصي ملك الموت بالعناية بالمؤمن او اتاحة الفرصة امام المسلم للتوبة في النفس الاخير واختيار ما فيه رحمة له وباب للانابة وسبيل الى الشفاعة.

٤- ان يسكن روح المؤمن ويخبر بان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امامه وان الموت باب للقاء به وصحبه في الآخرة، عن عبد الحميد بن عواض قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: اذا بلغت نفس احدكم هذه قيل له: اما ما كنت تحزن من هم الدنيا وحزنها فقد امننت منه ويقال له امامك رسول الله وعلي وفاطمة.

٥- قد يكون حضور النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتوسل ودعاء من الميت للشدة والخرج الذي هو فيه ساعة معاينة الموت لما قرأه واعتقده لحضوره صلى الله عليه وآله وسلم.

فيحضر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليوصي ملك الموت به خيراً، رحمة من الله وفضلاً.

وقد يتعلق اختلاف تلك الصور بتباين احوال المسلمين واعمالهم في الحياة الدنيا ودرجات ايمانهم وما يستحقه اهل التقوى من الكرامة واسباب الرفق والتخفيف عند عقبة الموت في طريق الوصول الى النعيم الخالد الذي وعدوا به واجتهدوا في الاستعداد له وليزول الحجاب عن اعينهم فيشتاقوا الى الدار الآخرة ويصبح احدهم ساعتها وهو لا يريد اللبث في الدنيا ويتطلع الى تناول روحه للحاق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم والاولياء.

الموت

وهو مغادرة الروح للجسد وتوقف الحركة فيه، يقال مات الانسان يموت موتاً. والموت ضد الحياة وكلاهما من خلق الله وفي التنزيل «خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم احسن عملاً...»^(١).

وتؤكد الآية إن الموت أمر وجودي وهو مخلوق وفي ذلك اشارة الى العالم الذي ينتقل اليه الانسان بالموت. وحيث ان اللام في (ليبلوكم) للتعليل اي ان مابعداها علة لما قبلها، يكون المعنى ان وجود حالة الموت وكذلك الحياة سبيل الى اختبار الناس،

(١) سورة الملك ٢.

وامتحانهم بالامر والنهي، وليكون الجزاء على نوع العمل وقدره، وليأتي الثواب ثمرة ونتيجة لحسن الطاعة والعبادة والعذاب متعباً للمعصية في زمان التكليف. وليكون الموت وادراك حتمية حدوثه سبباً للمسارعة في الخيرات وباباً للمسابقة في الصالحات. وفي تفسير الآية كان قتادة يستحضر قول النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم: (ان الله أذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت)^(١).

فالموت موجود وغير بعيد مع وجود الحياة واتصال اسبابها فهما ليسا من باب (تقابل الملكة وعدمها) كالبحر والعمى اللذين يرتفعان وان كان اجتماعهما ممتنع. بل هما ضدان متقابلان لانهما امران وجوديان متعاقدان على موضوع واحد ويتعذر اجتماعهما فيه. وبذلك يمكن القول بانهما صفتان وليسا من الذوات والاشياء المتخالفة كالبناء والخراب، والحيوان والحجر.

ان وجود الموت وحقيقته دليل على الايمان والرشاد، واختراعه امر اعجازي يجعل الانسان يشعر بالذل والخضوع امام عظيم قدرته تعالى وحسن تديره وبديع حكمته والنظر باستغراب وتعجب الى الذي تعمى بصيرته عن ادراك هذه البديهة الذي يجب ان يكون من الضرورات العقائدية في اركان الوجود الانساني

(١) أسماعيل بن كثير/تفسير القرآن العظيم ٤/٣٩٦.

على سطح الارض لذلك ورد التعجب ممن يحتج بالباطل في هذا المقام. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ...﴾^(١).

والذي قام بمحاجة نبي الله ابراهيم عليه السلام هو نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وقيل انه نمروذ بن فالخ بن عامر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح، الذي اتجه صوب صناعة الجدل للمحافظة على اتياد الناس له في ضلالتة وكفره، فهو اول من استكبر وطغى في الارض بادعائه الربوبية.

لقد كان ابراهيم عليه السلام يبشر بالدعوة الى الله وقيل ان المحاجة جرت عندما اخرج نمروذ ابراهيم من السجن ليحرقه بعد ان قام بكسر الاصنام فقال له من ربك الذي تدعو اليه. فاجاب ابراهيم (ربي الذي يحيي ويميت...)^(٢).

لقد اتجه ابراهيم عليه السلام الى قضايا وامثلة تسمى في علم المنطق (المشهورات الحقيقية المطلقة)، والتي لا يستطيع الانسان انكارها، ولا يحاول احد التشكيك فيها، وهي بديهيات غير مكتسبة.

(١) سورة البقرة ٢٥٨.

(٢) سورة البقرة ٢٥٨.

فاحتج ابراهيم عليه السلام بالموت والحياة وان الله هو
الذي يحيي ويميت وبان ذلك امر معجز لا يقدر عليه الا الله
تعالى، الامر الذي يؤكد وجود الموت آية من آيات الله عز وجل.
فاتجه الملك الكافر الى الجدل والاعتراض بعناد فقال:
(انا احيي واميت) اي انه يعفو او يسجن من يراد قتله ويقتل من
يريد بسطانه.

ولم يستمر معه ابراهيم بالجدال والاحتجاج في ذات
الموضوع، خاصة وان الحجج والبراهين التي يستظهر بها كثيرة
فاجابه باحتجاج سريع ومناسب في المقام. كما روي عن الامام
جعفر الصادق عليه السلام انه قال: ان ابراهيم قال له: احيي من
قتله ان كنت صادقاً.

ثم انتقل الى برهان اخر ومثال اخر في بيان ووضوح
مناسب لمدارك الناس (قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من
المشرق...) الآية. ولا يعني بذلك ترك الاحتجاج بالموت الذي
يستدل به على واجب الوجود ولفت الانظار الى حقيقة استحالة
وجود الممكن بلا علة او تخلف المعلول عن العلة وتوكيد العلة
الفاعلية وما منه الوجود ففي المثالين كان الاستدلال على أوهية
الله تعالى وانه المفيض للوجود سليماً وقاد الى غلبة ابراهيم
وهزيمة الباطل.

ولم يخلق الله شيئاً عبثاً فهو الحكيم الذي احسن تدبير كل بديع . فخلق الموت وجعله خاتمة للحياة وزمان التكليف، ومدة الاختبار، الى جانب ما فيه من ابواب المنفعة للناس، وتنظيم شؤون حياتهم واعاتهم على امور الدنيا والآخرة فقد روي عن هشام بن سالم عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: ان قوماً اتوا نبياً لهم فقالوا: ادع لنا ربك يرفع عنا الموت فدعا لهم فرفع الله تبارك وتعالى منهم الموت، وكثروا حتى ضاقت بهم المنازل وكثر النسل، وكان الرجل يصبح فيحتاج ان يطعم اباه وامه وجده وجد جدته ويرضيهم ويتعاهدهم، فشغلوا عن طلب المعاش فاتوه فقالوا: سل ربك ان يردنا الى آجالنا التي كنا عليها فسأل ربه عز وجل فردهم الى آجالهم .

أي ان الموت رحمة للناس وركن من عالم التكوين وزينة للحياة الدنيا لمن يعلم انه مرحلة انتقال الى عالم الخلود ويحرص على اقتران العمل بالعلم والادراك.

لقد جعل الله الموت واعظاً للانسان ورادعاً ومؤدباً له . يعلم انه ملاقيه فيجنب فعل القبيح ويمتنع عن التوغل اللاشعري في دروب الانانية والطمع والطغيان بل انه يحرص على التواضع ولا يبتعد عن الزهد (لذلك روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (لولا ثلاثة في ابن آدم ما طأطأ رأسه شيء:)

المرض والموت والفقر، وكلهن فيه وانه لمعهن وثاب^(١). وفي قوله تعالى: ﴿فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم﴾^(٢) قيل انه الريحان المشموم يؤتى به عند الموت من الجنة فيشمه فيقول انا عمك الصالح، وروي في الكافي عن الامام جعفر بن محمد عليه السلام : (انا رأيت الحسن الذي كنت عليه وعمك الصالح الذي كنت تعمله)^(٣). الامر الذي يظهر حضور الاعتقاد وتجسده في عالم البرزخ وتأثيره كالأعمال في ساعة الحساب واوان الجزاء.

الموت والذاكرة

لقد انعم الله على الانسان بالذاكرة وحضور المعاني في النفس وعدم تضييعها واستحضارها في الوقت المناسب وحسب مدارك الانسان ونباهته ونوع اعتقاده وجنس اهتمامه. لذلك يمكن اعتبار الذاكرة مدرسة للموعظة والاتعاظ وسبيلاً للهداية بل وحجة على الانسان وحاجباً يمنع من الاعتذار يوم القيامة. اذ يمكن توظيفها باستذكار ماجرى على الناس من الامم السالفة ومن الشواهد من فارق الاحبة وكذلك باستحضار ماينتظر الانسان من المصير المحتوم وهو مغادرة الدنيا بالموت الذي لامفر

(١) بحار الأنوار ١١٨/٦.

(٢) سورة الواقعة ٨٨-٨٩.

(٣) مجمع البحرين ١٦٦ طبعة حجرية.

منه وحيث لا تنفع معه الحيلة ولا سبيل الى النجاة منه . قال تعالى:
﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾^(١) .

إن ذكر الموت مناسبة للاعتاظ بالاسناد عن عباية بن ربيعي^(٢) قال: ان شاباً من الانصار كان يأتي عبد الله بن العباس، وكان عبد الله يكرمه ويدنيه فقيل له: انك تكرم هذا الشاب وتدنيه وهو شاب سوء، يأتي القبور فينیشها بالليالي، فقال عبد الله بن العباس اذا كان ذلك فاعلموني، قال: فخرج الشاب في بعض الليالي يتخلل القبور فأعلم عبد الله بن العباس بذلك فخرج لينظر ما يكون من امره فوقف ناحية ينظر اليه من حيث لا يراه الشاب، قال: فدخل قبراً قد حفر، ثم اضطجع في اللحد، ونادى باعلى صوته يا ويحي اذا دخلت لحدي وحدي، ونظقت الارض من تحتي فقالت: لامرحباً بك ولا اهلاً قد كت ابغضك وانت على ظهري، فكيف صرت في بطني، بل ويحي اذا نظرت الى الانبياء وقوفاً والملائكة صفوفاً، فمن عدلك غداً من يخلصني، ومن المظلومين من يستنقذني، ومن عذاب النار من يجيرني، عصيت من ليس باهل ان يعصى عاهدت ربي مرة بعد اخرى فلم يجد عندي صدقاً ولا وفاءً، وجعل يردد هذا الكلام ويبكي

(١) سورة النساء ٧٨ .

(٢) عباية بفتح العين والباء . وربعي بكسر الراء وسكون الباء وهو عباية بن عمرو بن ربيعي ذكره البرقي أنه من خواص اصحاب الامام عليه السلام من مضر وعده الشيخ في رجاله من اصحاب الحسن بن علي عليه السلام .

فلما خرج من القبر التزمه ابن عباس وعانقه ثم قال له: نعم
النّباش، نعم النّباش، ما انبشك للذنوب والخطايا، ثم تفرقا.

وقد يميل بعض الناس الى الابتعاد عن ذكر الموت حيث
يخيفهم شبحة وربما ظنوا ومن غير تدبر ان استذكاره ينغص نظرة
الدنيا وسرور نعيمها ورونق بهجتها ورفيف سعادتها لما يهجم
عليهم معه من الرعب والفرع وانكشاف الغطاء عن حقيقة الدنيا
في سرعة زوال ايامها كما وان تصور احوال الموت امر رهيب
ويحتاج التأمّل فيه الى ملكة من التحمل والصبر الذهني واردة
على متابعة الفكر لمراحل مغادرة الروح للجسد وتجسيد صور
ومراحل الانتقال الى عالم البرزخ والدار الاخرة وغير ذلك من الظن
الذي يتبدد وينحسر بجيأ عند التدبر والتعمق في النظر الى منافع
استذكار الموت بمنظار ايماني ونظرة واقعية الى حقيقة وماهية
الحياة الدنيا كخلق لله عز وجل وقرين ملازم في مدة التكليف
ويصبح التفكير بالموت رحمة وعوناً (عن ابي جعفر الباقر عليه
السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: الموت،
الموت، جاء الموت بما فيه، جاء الروح والراحة والكرّة المباركة الى
جنة عالية لأهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم،
وجاء الموت بما فيه، جاء بالشقوة والندامة والكرّة الخاسرة الى

نار حامية لاهل دار الغرور الذين كان لها سعيهم وفيها
رغبتهم^(١).

ولاستحضار الانسان لموضوع الموت وعدم تعمد
الاعراض عن تدبره والتأمل في ماهيته منافع عديدة منها :

١-الزهد في الدنيا والاعراض عن زينتها واغرائها وترك غرورها،
عن ابي عبيدة قال: قلت لابي جعفر الباقر عليه السلام:
جعلت فداك حدثني بما انتفع به، فقال: يا أبا عبيدة ما أكثر ذكر
الموت انسان الا زهد في الدنيا.

وفي تعريف الزاهد ورد بالاسناد عن الامام علي بن
موسى الرضا عن ابيه الامام موسى بن جعفر عليهما السلام
قال: سئل الصادق عليه السلام عن الزاهد في الدنيا قال الذي
يترك حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة عقابه).
وبذلك يكون ذكر الموت سبيلاً الى ترك الحرام ونبذ السيئات
والتحرج مما في الدنيا من الحلال.

٢-حب الله عز وجل والتسليم لحكمه والرضا بقضائه واعتبار
الموت جزءاً من بدع صنعه وحكمته.

٣-ازدياد الايمان عند الانسان والتقدم في سلم الورع.

(١) مجار الانوار ١٢٦/٦ .

٤- الارتقاء في منازل اليقين ودرجات العلم وفي قوله تعالى ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾^(١) قال الحسن ومجاهد وقادة معناه حتى ان يأتيه الموت ربما لان العقلاء جميعاً يوقنون بحتمية لقائه.

٥- الاقبال على الطاعات واتيان الصالحات بل ان ذكر الموت بعنوانه المجرد عبادة مستقلة لما فيها من التفكير والاعتبار قال النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم: افضل الزهد في الدنيا ذكر الموت وافضل العبادة ذكر الموت، وافضل التفكير ذكر الموت، فمن اثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة^(٢).

٦- جودة القرينة ورجحان العقل والنباهة والفتنة بالنظر الواقعي للحياة الدنيا ومعرفة الأعمال في خواتيمها، عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: اكيس الناس من كان اشد ذكراً للموت^(٣).

٧- اجتناب محارم الله وذلك بادراك زوال لذاتها وبقاء تبعاتها، وان الله عز وجل لا تخفى عليه خافية وانه جعل الموت بداية للحساب وباباً لمراحل الجزاء. عن القداح عن الصادق عن ابيه -الباقر- عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: استحيوا من الله حق الحياء، قالوا وما نفعل

(١) سورة الحجر ٩٩.

(٢) ن. م. ١٣٧/٦.

(٣) ن. م. ١٣٠/٦.

يارسول الله؟ قال: فان كنتم فاعلين فلايبيتن احدكم الا واجله بين عينيه، وليحفظ الرأس وماوعى او البطن وماحوى وليذكر القبر والبلى، ومن اراد الاخرة فليدع زينة الحياة الدنيا^(١).

٨-مواجهة مشاق الحياة بروح الصبر و ارادة التوكل على الله عز وجل وملكة التحمل وتلقي المصائب بالاسترجاع والاقرار بالقدر، وان الواقع ترجمة وانعكاس لما هو مكتوب. قال امير المؤمنين عليه السلام: اكثروا ذكر الموت، ويوم خروجكم من القبور، وقيامكم بين يدي الله عز وجل تهون عليكم المصائب.

٩-النظر الى الامور بمنظار الحقيقة وتقييم الاشياء بمنطق الواقع وانعدام الغفلة وغياب اليأس والقنوط قال النبي صلى الله عليه واله وسلم: اذكروا هادم اللذات، فقيل وما هو يارسول الله فقال: الموت فماذكره عبد على الحقيقة في سعة الاضقت عليه الدنيا، ولا في شدة الا اتسعت عليه، والموت اول منزل من منازل الاخرة، وآخر منزل من منازل الدنيا، فطوبى لمن اكرم عند النزول بأولها، وطوبى لمن احسن مشايسته في اخرها، والموت اقرب الاشياء من بني ادم وهو يعدّه ابعده، فما أجراً الانسان على نفسه، وما اضعفه من خلق، وفي الموت نجاة المخلصين وهلاك المجرمين، ولذلك اشتاق من اشتاق الى الموت وكره من كره.

(١) ن.م. ٦/١٣٠.

١٠- صلاح النفس وبناء الشخصية على أسس عقائدية وتنمية ملكة الاقدام والعزيمة في الفعل ضمن حدود مرضاة الله وآفاق الشريعة. قال الامام الصادق عليه السلام: (ذكر الموت يبيت الشهوات في النفس ويقلع منابت الغفلة، ويقوي القلب بمواعد الله، ويرقّ الطبع، ويكسر اعلام الهوى، ويطفيء نار الحرص ويحقر الدنيا، وهو معنى ما قال النبي صلى الله عليه واله وسلم: فكر ساعة خير من عبادة سنة)، وذلك عندما يحلّ اطناب خيام الدنيا، ويشدّها في الاخرة، ولايشك بنزول الرحمة على ذاكر الموت بهذه الصفة، ومن لايعتبر بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر وتخيّره في القيامة فلا خير فيه.

١١- الاستعداد للموت وتوقع حلول ساعته في كل آن وعدم ظهور علامات الحسرة والاسى عندما تبدو بعض اماراته.

لقد ذهب جماعة من الفلاسفة الى نفي الوجود الذهني وقالوا انه لو حلت الماهية في الذهن لتأثر بلوازمها كالحرارة والبرودة والطول والعرض والتحيّز والحركة، والحق ان الوجود الذهني يختلف عن الوجود الخارجي، حيث لاتحل في الذهن الذات ولوازمها، انما صورتها الادراكية المجردة المثالية غير المادية ومفاهيمها بالحمل الاولي ليكون ذلك شاهداً على بدع صنعه تعالى وعظيم نعمته على الانسان بان اعطاه العقل وجعل وظائفه

متعددة، ففي حسنة محمد بن مسلم عن ابي جعفر الامام محمد الباقر عليه السلام قال: لما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر. فقال: وعزتي ما خلقت خلقاً احسن منك، اياك امر واياك ائيب، واياك اعاقب^(١).

ولو كان للموت وجود نفسي في الذهن تترتب عليه اثاره في الوجود الخارجي للزم تعطيل جانب منه، ولكن وجوده الذهني كيفية نفسانية وماهية مغايرة للماهية الخارجية ذلك ان العلم غير المعلوم.

ان هذا الاختلاف بين الفلاسفة مصداق للحديث اعلاه وبديع صنعه تعالى للعقل وما جعل فيه من الاسرار التي لاتدرکها الاوهام.

اي ان العقل البشري يعجز عن العلم بذاته، وتلك حجة على الانسان ودليل على قصوره وعجزه، ومانع نفسي لمنع التعدي في التفكير وامتناعه، لذا ورد عن النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم: اياكم والتفكر في الله، ولكن اذا اردتم ان تنظروا الى عظمة الله تعالى فانظروا الى عظم خلقه.

وقد يتجنب بعض الناس ذكر الموت ويعرض عن الخوض في حديثه وخصوصياته وشدائده، اما لعظيم هول المطلع، او للتفاعل والانسجام مع نعيم الدنيا وزينتها، أو لعدم الاستعداد له

(١) الوسائل ٧/١، طبعة حجرية.

في الأعمال ولا يريد ان يتصور احتمال تعرضه لصنوف العذاب بل وتراه يتضايق من بحث حقيقة انفصال الروح عن الجسد الذي يصبح فريسة وطعماً لهوام الارض. هذا مايرى في محيطه من وقوع الموت بالشيخ تارة والشاب او الصبي تارة أخرى، وانه المرشح هو الاخر للموت في كل ساعة.

قال الامام علي عليه السلام: مارايت ايماناً مع يقين اشبه منك بشك على هذا الانسان، انه كل يوم يودع الى القبور، ويشيخ، والى غرور الدنيا يرجع، وعن الشهوة والذنوب لايقلع، فلو لم يكن لابن ادم المسكين ذنب يتوكفه ولاحساب يقف عليه الا موت يبدد شمله ويفرق جمعه ويؤتم ولده لكان ينبغي له ان يحاذر ما هو فيه بأشدّ النصب والتعب، ولقد غفلنا عن الموت غفلة اقوام غير نازل بهم، وركنا الى الدنيا وشهواتها ركون اقوام قد ايقنوا بالمقام، وغفلنا عن المعاصي والذنوب غفلة اقوام لايرجون حساباً ولايخافون عقاباً.

وربما ادى ببعضهم الفرع مما بعد الموت وعدم الاستعداد له الى نكران وجود عالم اخر وصاغوا ذلك في نظريات حديثة تضرب جذورها بالواقع اللاديني القديم يلتقيان في ذات المنطلق ونفس الاسباب.

وقد جاء في القران ذم لهم وفضح لاهوامهم (ويقول الانسان أءذا مامتُ لسوف اخرج حياً، او لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل أولئك شيئاً^(١)).

ولقد أولت الشرائع السماوية الموت واستحضاره في الذهن اهمية خاصة كمدخل للصلاح والهداية. وكذلك اهتم الحكماء بموضوع الموت مادة لاعتبار زخارف الدنيا ومتاعها ضمن موازين العقل ودواعي الحكمة الا انها كانت قاصرة في إعطاء المفاهيم الروحية للموت وما بعده فمثلاً عند موت الاسكندر اجتمع عند تابوته الحكماء. وكما يفعل اطباء الابدان في هذا الزمان بالاجتماع عند جثة الميت للبحث عن سبب الوفاة ونحوه. فان الحكماء استثمروا تلك المناسبة وتكلموا فقال احدهم: حركنا بسكونه. وقال الاخر: قد كان سيفك لا يجف وكانت مراقيك لاترام وكانت نجماتك لاتؤمن وكانت عطايك يفرح بها، وكان ضياؤك لا ينكشف فاصبح ضوءك قد خمد واصبحت نجماتك لاتخشى وعطايك لاترجى ومراقيك لاتمنع وسيفك لا يقطع. وقال اخر انظروا الى حلم المنام كيف انجلي والى ظل الغمام كيف انسرى. وقال اخر: ما كان احوجه الى هذا الحلم والى هذا الصبر والسكون ايام حياته. وقال اخر: القدرة العظيمة التي ملأت الدنيا العريضة الطويلة طويت في ذراعين. وقال اخر:

(١) سورة مريم ٦٦-٦٧.

أسر الأُسراء اسيراً وقاهر الملوك مهوراً كان بالامس مالكاً فصار
اليوم هالكاً^(١).

لقد اعطى الاسلام لموضوع الموت منزلته النفسية
والفكرية والواقعية المناسبة ومن غير افراط ولا تفريط. اي انه لم
يجعل استحضار الموت سبباً للخمول والكسل واليأس. ولم يكن
مقدار اهتمامه به من القلة بحيث يكون مفوتاً لبعض منافع ذكره
وما فيه من الاعتبار.

وقد ورد ذكر الموت ومفرداته في القران في نحو مائة
واربعين موضعاً، وفي ذلك آية تعتبر مدرسة في ماهية الموت وما
يتضمنه من اسرار ودروس وما بعده من الحياة التي تختلف من
شخص الى آخر، ومن امة الى اخرى.

لذلك ترى حياة قادة المسلمين وسيدهم تذكر بالموت
وتنبأ عن حضوره اليومي نصب اعينهم مثلما يتفحص ملك الموت
اهل كل بيت خمس مرات في اليوم. وفي هذا الباب يمكن ان
تؤلف مجلدات تكون سجلاً وثائقياً يجسد الفهم الموضوعي للموت
واثاره الايجابية في حياة المسلمين عموماً ويعكس التزامهم الواعي
باداب مدرسة القران ومنهاج شريعة سيد المرسلين.

فعندما اصيب امير المؤمنين تكلم قبل موته بخطبة بليغة
مملوءة موعظة وعبرة وتقوى ومما جاء فيها: انا بالامس صاحبكم،

(١) نهج البلاغة / شرح ابن ابي الحديد ٢/٤١٤.

وانا اليوم عبرة لكم وغداً مفارقكم، غفر الله لي ولكم . . . الى ان قال : وانما كنت جاراً جاوركُم بدني اياماً وستعقبون مني جُثَّةً خلاءً ساكئة بعد حراك. وصامته بعد نطق ليعظكم هدوي وصفوت اطلاقي وسكون اطرافي. فانه اوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع^(١).

لقد اولى الاسلام الموت والورود على القبر موضوعية خاصة كمسألة حتمية يجب ان يكون اثرها على الحياة ايجابياً يتجسد بالزهد والتقوى والصلاح. وجاء ذكر القبر في القران ثمان مرات. وورد كلام لامير المؤمنين عليه السلام بعد تلاوته قوله تعالى ﴿الهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر. . .﴾ ياله مراماً ما ابعده. وزوراً ما اغفله وخطراً ما افضعه. لقد استخلوا منهم اي مذكر. وتناوشوهم من مكان بعيد فبمصارع ابائهم يفخرون. ام بعد يد الهلكى يتكاثرون. . .^(٢).

ولقد اولى أهل البيت عليهم السلام في سيرتهم المباركة وأيام مصابحتهم للدنيا أهمية خاصة لذكر الموت وحببوه الى النفوس بما ألبسوه من التقوى وزينة الهدى وبيان طريقته الى لقاء الله، ولقد قرنه الامام علي بن الحسين عليه السلام بالضروريات، فعندما يتفقه المسلمون ويحرصون على تفقد أحواله ويسأله بعضهم كيف أصبحت يا رسول الله؟ يجيب الأمام عليه السلام

(١) نهج البلاغة/شرح ابن ابي الحديد ٤١٢/٢.

(٢) ن. م. ٤٨/٣.

أصبحت مطلوباً بثمان : الله يطالبني بالفرائض، والني يطالبني بالسنة، والعيال بالقوت، والنفس بالشهوة، والشيطان باتباعه، والحافظان بصدق في العمل، وملك الموت بالروح، والقبر بالجسد، فانا بين هذه الخصال مطلوب .

تقد جعل الامام عليه السلام من نفسه موعظة وعبرة وتذكرة خاصة وان انقطاعه الى العبادة والنسك يؤكد صدق كلامه ويساهم في نفاذه الى النفوس .

المخض

يقال حُضِرَ المريضُ واحتُضِرَ: اذا نزل به الموت وحلَّ اجله . واحضر فلان اذا اشرف على الموت ودنا اجله . وتصلح كلمة ميت لمن مات ولمن سيموت فيقال: مَيِّتٌ ومائتٌ للذي لم يمت بعد .

ولكن لفظ (ميت) يدل على ملازمة الصفة وثبوتها . وان المائت تدل على حدوث الصفة وطروها كما يقال: فلان مائت غداً اي انه سيموت .

لذلك وردت بعض الروايات والاخبار بالقول (اذا مات الميت) وقال بالعبارة بعض الفقهاء في فتاويهم (وفي صحيحة سليمان بن خالد قال سمعت ابا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: اذا مات لاحدكم ميت فسجوه باتجاه القبلة وكذلك اذا

غسل يحفر له موضع المغتسل تجاه القبلة فيكون مستقبل باطن قدميه ووجهه الى القبلة^(١) .

ان اطلاق لفظ الميت على من سيموت اقتضائي تعليقي وليس فعلياً وفيه إشارة الى حضور امارات الموت .

وتسميته بالمتضر لها عدة معان وتحتل وجوهاً عديدة

منها:

١- الحضور الملائكة الذين امروا بقبض روحه . روي ان المتضر يحضره صف من الملائكة عن يمينه عليهم ثياب خضر، وصف عن يساره عليهم ثياب سود، ينتظر كل واحد من الفريقين في قبض روحه، والمريض ينظر الى هؤلاء مرة والى هؤلاء اخرى، ويبعث الله ملكاً الى المؤمن يبشره ويأمر ملك الموت ان يتراءى له في احسن صورة، فاذا اخذ في قبض روحه وارتقى الى ركبته شفع الى جبرئيل وقد امره الله ان ينزل الى عبده ان يرخص له في توديع اهله وولده . . الحديث.

٢- حضور النبي صلى الله عليه واله وسلم عنده في ساعة مغادرته الدنيا، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يحضر لمن يكون في النزع من اصحابه، والمسلمون يعتقدون بحياته في العالم الاخر ويدل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع والعقل.

(١) الوسائل ١٢٥/١ طبعة حجرية .

٣- حضور اعماله عنده ساعة وفاته وظهور الحقيقة امامه واضحة وهي ان حسابه سيكون حسب فعله ونوع عمله .
روي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: اذا وضع الميت في قبره مثل له شخص فقال له: يا هذا كُنا ثلاثة، كان رزقك فانقطع بانقطاع اجلك، وكان اهلك فخلّفوك وانصرفوا عنك، وكنت عملك فبقيت معك، اما اني كنت اهون الثلاثة عليك . اي ان الانسان يولي عياله مجتمعين ومنفردين اهتماماً أكثر من العناية بنوع عمله في الصالحات، وكذلك يقضي ايامه في طلب الرزق والكسب والتوسعة وقد لا يلتفت الى ما عليه من الفرائض وما في المندوب من الثواب والنفع الدائم . وهذا الموضوع سر من اسرار الحياة الدنيا وما فيها من الابتلاء ويمكن اعتبار الحديث مصداقاً لقوله تعالى ﴿المال والبنون زينة حياة الدنيا﴾^(١) وقوله تعالى ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من اتى الله بقلب سليم﴾^(٢) .

٤- حضور الموت نفسه فقد كانت زيارته منتظرة منذ الساعات الاولى من الولادة وفي القران ذكر لذلك بقوله تعالى ﴿شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان﴾^(٣) وردت رواية بهذا المعنى في منطوقها اللغوي عن سالم بن ابي سلمة

(١) سورة الكهف ٤٦ .

(٢) سورة الشعراء ٨٨-٨٩ .

(٣) سورة المائدة ١٠٦ .

عن الامام الصادق عليه السلام قال: حضر رجلاً الموتُ فقيل:
يا رسول الله ان فلاناً قد حضره الموت، فنهض رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ومعه ناس من اصحابه حتى اتاه
وهو مغمى عليه، قال:

فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: يا ملك الموت
كف عن الرجل حتى اسأله فافاق الرجل.

فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم: ما رأيت؟

قال: رأيت بياضاً كثيراً وسواداً كثيراً،

فقال: فايهما كان اقرب اليك؟

فقال: السواد،

فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم: قل: اللهم اغفر لي
الكثير من معاصيك، واقبل مني اليسير من طاعتك، فقال ثم
اغمى عليه،

فقال: يا ملك الموت خفف عنه ساعة حتى اسأله فافاق

الرجل.

فقال: ما رأيت؟

قال: رأيت بياضاً كثيراً وسواداً كثيراً،

قال: فايهما كان اقرب اليك؟

فقال: البياض،

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غفر الله
لصاحبكم،

فقال ابو عبد الله الصادق عليه السلام: اذا حضرتم ميتاً
فقولوا له هذا الكلام ليقوله^(١).

وفي هذا القول توجيه للاهتمام بالسنة النبوية الشريفة
وكيفية استثمارها لصالح الافراد الاحياء منهم والاموات، لقد
كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مبادر لزيارة المحتضر
وارشاده لما فيه نجاته وسلامته ليكون ذلك درساً واسوة
حسنة للمسلمين وموعظة لاجيالهم ورحمة مزجاة للاموات
منهم. بالاضافة لما فيها من سكينة للميت.

٥- حضور الناس عنده، لقد دأب المسلمون على الحضور عند
الميت ساعة احتضاره رحماً كان او جاراً او صديقاً بل وحتى
غريباً، اكراماً وعبرة وعبادة وتوديعاً او لفعل مستلزمات
الموت من استحباب تلقينه الشهادتين والاقرار بالأئمة وكلمات
الفرج والتوبة والاستغفار والدعاء وتوجيه نحو القبلة.

٦- حضور اهله عنده صلة للرحم واستقبالاً للفراق النهائي
بالاجتماع العام، وعنواناً للتسليم بامرته تعالى واداءً لما يجب او
يستحب في المقام مما تقدم ذكره.

(١) الوسائل ١/١٢٦.

وقد لا تجدد عند غير المسلمين تلك المظاهر التي تجسد ارتقاء في الاخلاق والقيم الاجتماعية متفرعاً من العقيدة الاسلامية ذات الكمال والشمول السليم لميادين الحياة كافة بما في ذلك الجوانب التفصيلية لحياة الافراد ومنها ساعة الاحتضار ذات الاهمية الخاصة بل انه اولها اهمية خاصة بدليل السنة الشريفة القولية منها والفعلية وسيرة المسلمين.

وربّ قائل يقول بانه ورد في الرواية لفظ (اذا حضرتم) وانها تدل ايضاً على حضور الناس عنده، وهو صحيح ايضاً ولا مانع من كون لفظ المحتضر جاء بسبب حضور الملائكة والاهل والاعمال عند اقبال الموت وربما كان هناك حضور امر ما اوشيء اخر والعلم عند الله.

حاض المحض

يعتبر الحضور عند الميت مدرسة عقائدية واخلاقية ذات شعب فكرية وتربوية واجتماعية متفرعة ولكنها تحمل مجتمعة ومتفرقة سمات الصلاح والهداية والاعتبار والاعتاظ انه مناسبة للاقرار بالاجل وحمية الموت والزهد بالدنيا والتحصن مما فيها من الافتتان.

وهو آية تلمي التدبر والتفكر وادراك ضرورة المبادرة الى ما فيه الاستعداد للموت من اداء الفرائض واتيان الصالحات ونحو

ذلك من الزاد الكريم ليوم اللقاء ان الاشتغال بتجهيز الميت عون على ذلك وسبيل الى طرد الهوى والزهو والغرور عن النفس، ومن وظائف من يحضر الميت من الاهل والاقرباء وغيرهم:

١- المبادرة الى توجيهه في استلقائه الى القبلة اي ان باطن قدميه يكون اليها بحيث انه لو جلس لكان مستقبلاً للقبلة واستدل على ذلك بما ورد مرسلًا ان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دخل على رجل من ولد عبد المطلب وهو في السوق وقد وجه الى غير القبلة، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: وجهوه الى القبلة فانكم إذا فعلتم ذلك اقبلت عليه الملائكة. واقبل الله عز وجل عليه بوجهه فلم يزل كذلك حتى يقبض). لذلك ولروايات اخرى كان الوجوب هو المشهور.

وتكليف الحاضرين بتوجيهه الذي في النزع يأتي اعانة له لاتمام هذا العمل ذي الاولوية. واذا تمكن المحتضر من الاستقبال مستلقياً على ظهره فعليه ان يقوم به.

ان تغشي رحمة الله للعبء في تلك الساعة وحضور الملائكة بسبب توجهه للقبلة باب من الأكرام وفضل منه تعالى لذلك يشترط في المحتضر الذي يُوجه نحو القبلة ان يكون مسلماً ليفوز بهذه النعمة سواء كان كبيراً او صغيراً، ذكراً او انثى. وذلك الاطلاق الدليل وشموله.

٢- استحباب تلقين المحتضر الشهادتين (اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله) والاقرار بالنبوة والامامة والعقائد الاساسية في الدين.

في صحيحة الحلبي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: (اذا حضرت الميت قبل ان يموت فلقنه شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله).

ان تلقين المحتضر الشهادتين وتكرارها حتى الموت باب للمغفرة والرحمة وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال: لقنوا موتاكم لا اله الا الله فان من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة.

كما وان التلقين يطرد الشياطين من حضرة المؤمن ويكون حجاباً لصد أذاهم واغوائهم من التأثير فيه. عن ابي خديجة عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: ما من احد يحضره الموت الا وكل به ابليس من شياطينه ويأمره بالكفر ويشككه في دينه حتى يخرج نفسه فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه فاذا حضرتم موتاكم فلقنوهم شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله حتى يموتوا^(١).

ومن أبواب رحمته تعالى على المؤمنين ان ملك الموت يؤدي وظيفة التلقين للمؤمن عند موته كما ورد في حديث عن الامام

(١) الوسائل ١٢٥/١ طبعة حجرية.

محمد الباقر عليه السلام قال: ان ملك الموت يقول اني للملقن المؤمن عند موته شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله.

انها بشارة واعانة للمؤمن ساعة الموت ولطف تدارك ما يصيب الميت مطلقاً عند حضور ملك الموت، ويستحب ايضاً تلقين الميت كلمات الفرج والتي وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في صحيحة الحلبي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل على رجل من بني هاشم وهو يفضي فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قل لا اله الا الله العظيم لاله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السماوات السبع والارضين السبع وما بينهن وما تحتهن ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين فقالها . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الحمد لله الذي استنقذه من النار.

وربما سميت كلمات الفرج لان المؤمن عند موته ينكشف له الغطاء فيرى منزله في الجنة وما ينتظره من النعيم الدائم وانه يختار برضا منه ما اعد له الله عز وجل من السعادة وذلك الفرج بعد مدة الامتحان والابتلاء وهناك ادعية اخرى في المقام . كما يستحب قراءة بعض سور القرآن وآياته مثل سورة يس والصفات وآية الكرسي وغير ذلك من جميع سور القرآن، وفي الرضوي: اذا

حضر احدكم الوفاة فاحضروا عنده القرآن وذكر الله والصلاة
على رسول الله.

ويستحب تعجيل تجهيزه الامع الاشتباه فلا يجوز التعجيل.

المكروهات

١- ويكره حضور الجنب والحائض الميت لان الملائكة تأذى
بمحضورهما باستثناء حالة الضرورة المؤقتة (بالاسناد عن علي
بن ابي حمزة قال: قلت لابي الحسن موسى بن جعفر عليه
السلام -المرأة تقعد عند رأس المريض وهي حائض في حد
الموت فقال: (لابأس ان تمرضه فاذا خافوا عليه وقرب ذلك
ففتح عنه وعن قربه فان الملائكة تأذى بذلك)^(١). ان ذكر
العلة وهي تأذي الملائكة هل تعني ان الحديث خاص بالمؤمن
الميت ام انها عامة، الحقيقة انها عامة، وان اذى متعلق
بالحائض وايضاً بصفة الحيض، من غير اعتبار لموضوع الايمان،
نعم على المؤمنين العمل على طبق وظيفتهم بمنع بقائها ساعة
الوفاة.

(١) الوسائل ١٢٧/١ طبعة حجرية.

٢- ان يمسه من يكون عنده حاضراً لان ذلك يزيده ضعفاً ويسبب له الاذى وهو في النزع وقد يسبب له ذلك المس انشغالاً عن مستلزمات استقبال الموت من الذكر والاستغفار.

٣- تركه منفرداً يواجه النزع وسكرات الموت لما في ذلك من مظاهر الجفاء في ساعة التوديع ولانه يضاعف آثار الوحشة ويحرم الميت من الاعانة في الذكر والتقين ونحو ذلك، عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: لاتدعن ميتك وحده، فان الشيطان يعبث في جوفه.

٤- البكاء عنده وكذلك الصراخ وكثرة الكلام في غير الذكر.

٥- حضور الذين يتولون اعداد الموتى وتجهيزهم ودفنهم عنده، ينتظرون مغادرة روحه الجسد.

ويستحب عند خروج الروح ان تغمض عيناه ويشد لحياه وان يغطى بعد ذلك بثوب، عن زرارة قال: ثقل ابن لجعفر - الصادق- وابو جعفر- الباقر- جالس في ناحيته فكان اذا دنى منه انسان قال: لاتمسه فانه انما يزداد ضعفاً واضعف ما يكون في هذا الحال ومن مسه على هذه الحال اعان عليه فلما قضى الغلام امر به فغمض عيناه وشد لحياه.

كذلك يستحب مد يدي الميت الى جنبيه، ومد رجليه حرصاً على بقاء هيئته وتيسيراً لاتمام الغسل.

ومن مظاهر أكرام الميت والاهتمام بشأنه اسراج المكان الذي مات فيه ان كان موته في الليل . انه نحو احترام للميت واشعار بعدم قطع الصلة وتناول بنور يستضيء به . ونسب هذا الاسراج الى الاصحاب وربما استدل عليه بخبر عثمان بن عيسى (لما قبض ابو جعفر عليه السلام امر ابو عبد الله عليه السلام بالسراج في البيت الذي كان يسكنه حتى قبض ابو عبد الله عليه السلام . ثم امر ابو الحسن عليه السلام بمثل ذلك في بيت ابي عبد الله عليه السلام حتى اخرج الى العراق ثم لادري ما كان)^(١) والحديث لا يتعلق بالمقام او ليلة الوفاة.

غسل الميت

انه موضوع يستحق دراسة عقائدية واجتماعية وروحية لبيان الاشراقات والمعاني السامية التي يجسدها ، وما فيه من أكرام للمسلم واعزاز يؤكد نفاذ الاحكام الشرعية في كيان وذات المسلم حتى بعد مغادرته الدنيا وما يساهم في الالفاق به وسلامته في الآخرة . ولقد زرع الله الشوق في النفوس لهذا الواجب.

وترى اهتماماً خاصاً به ساعة الوفاة حتى ممن تراه مقصراً في واجباته العينية، اي انه اصبح من المرتكزات الشرعية

(١) الوسائل ١٢٧/١ طبعة حجرية .

والعرفية عند عموم المسلمين ضرورة غسل الميت وأكرامه ووقايته به.

وهو أيضاً توديع كريم، وخاتمة بيضاء لايام الحياة الدنيا التي تتباين فيها الافعال مع تعدد الافراد واختلاف المجتمعات بل ومن قبل الفرد الواحد وفي بيئة واحدة مع انعدام المؤثر الخارجي المستحدث، لذا ترى معالم الرحمة الالهية ظاهرة في موضوع غسل الميت لما فيه من العموم وشموله كواجب لكل ميت من المسلمين بغض النظر عن السنخية والسجية ونوع الفعل في الحياة الدنيا.

وغسل الميت من الواجبات الكفائية وكذلك مستلزمات تجهيزه الاخرى من التكفين والصلاة عليه والدفن، ولا يعارض ذلك احقية البعض واولويته كالولي واستئذانه، وتسقط باداء البعض لها وان تركت اثم الجميع واستحقوا العقاب، وقاعدة الاشتغال تشير الى بقاء اصل الوجوب الى حين اتمام العمل بشرائطه، ويجب ان يقوم بالتغسيل البالغ العاقل لانه يشترط فيه قصد القرية وقد ورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: غسل الميت واجب) واحكام الشريعة سور محيط يضم كل من نطق بالشهادتين لذلك يجب تغسيل كل مسلم اكراماً له وللشهادتين وسعياً لتخفيف عذاب البرزخ عنه، وان يدخل العالم الاخر بطهر وتقاء من الخبث^(١) والحدث^(٢)، عن محمد بن سنان ان الامام علي بن

(١) الطهارة الحبيثة وهي من النجاسة في البدن.

(٢) الطهارة الحديثة: وهي التطهر من الحدث كالبول والجنابة، كل حسب الحكم الشرعي.

موسى الرضا عليه السلام كتب اليه في جواب مسائله علة غسل الميت ان يغسل ليظهر وينظف عن ادناس امراضه، وما اصابه من صنوف علله، لانه يلقي الملائكة ويباشر اهل الارض، فيستحب اذا ورد على الله عز وجل، ويماسونه ويماسهم ان يكون طاهراً نظيفاً متوجهاً به الى الله عز وجل ليطلب وجهه وليشفع له وعللة اخرى انه يخرج منه المني الذي منه خلق فيجنب فيكون غسله له.

ومباشرة غسل الميت بقصد القربة عليه الاجماع وسيرة المشرعة ولتقوم العمل بالنية لقوله صلى الله عليه واله وسلم: (الأعمال بالنيات)^(١) ويظهر اعتبار قصد القربة واشترائه بعدم صحة غسل الميت الا من قبل البالغ العاقل فلا يصح من المجنون والصبي الا على القول بشرعية عباداته فهو امر مختلف فيه وللضرورة في المقام احكام مبينة في المفصلات والرسائل العلمية، روي عن الامام محمد الباقر عليه السلام انه قال: فيما ناجى الله به موسى ربه. قال: (يارب ما لمن غسل الموتى؟ فقال تعالى ﴿اغسله من ذنوبه كما ولدته أمه﴾^(٢) .

شأن الغسيل

(١) الوسائل ١/٣٤.

(٢) الوسائل ١/١٣١ طبعة حجرية.

ومن شرائط تغسيل الميت:

١- طهارة الماء، وذلك لقاعدة ان المتنجس لا يظهر. وابعثه وكذا اناؤه ومحله والسدر والكافور المستعمل في مراحل التغسيل لعدم تحقق القرية بما يعتبر حراماً وفيه معصية.

٢- تنظيف بدن الميت واعضائه من كل نجاسة وكذلك ازالة الحواجب عن البشرة.

ولا يجوز اخذ الاجرة على تغسيل الميت، كما وان غسل الميت يجزي عن غسل الجنابة والحيض ولا تجب اعادة الغسل عند خروج نجاسة او تعرضه لنجاسة خارجية للاصل وللانخبار الواردة في المقام منها ما روي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: ان بدا من الميت شيء بعد غسله فاغسل الذي بدا منه ولا تعد الغسل. ومن الاحوط غسل الميت بعد سرده. لاحتمال كون الحرارة من المراتب التي يظن أو يشك معها وجود الحياة واحتج ايضاً بالسيرة ولكنها ربما تتم اتفاقاً لذا لا يصلح عدم التعجيل للاستدلال، والاصل عدم اشتراط تأخير غسل الميت حتى يبرد.

آداب غسل الميت

١- يستحب تغسيله على ساجة^(١) او سرير او دكة بما يحقق حفظ بدنه من التلخخ منحدرًا باتجاه قدميه لكي لا يجتمع الماء تحته.

٢- ان يوضع مستقبل القبلة وكما تقدم في حالة الاحتضار وقال بعض الفقهاء بوجوب الاستقبال في التغسيل ولكن الامر فيه يحمل على الندب ولصحيحة ابن يقطين قال: سألت ابا الحسن الرضا عليه السلام عن الميت كيف يوضع على المغتسل، موجهًا وجهه نحو القبلة، او يوضع على يمينه ووجهه نحو القبلة؟ قال عليه السلام: يوضع كيف تيسر.

٣- ان يجري التغسيل تحت سقف او ظل عن علي بن جعفر انه سأل اخاه الامام موسى بن جعفر عن الميت هل يغسل في الفضاء؟ قال عليه السلام: لابأس وان ستر بستر فهو أحب الي.

٤- ان يكون الميت عارياً مستور العورة احتراماً له.

٥- غسل يديه الى نصف الذراع قبل التغسيل.

٦- ان تكون البداية في كل غسل من الاغسال الثلاثة من الطرف الايمن من رأسه.

٧- ان يكون الغاسل واقفاً بالجانب الايمن من الميت.

(١) الساج: شجر نبت في بلاد الهند ويمتاز بانه لا يبلى بسرعة، والجمع سيجان (وعن أبي الاعرابي: يقال الساجة الخشبية الواحدة المشرجة المرعبة) لسان العرب ١٧٩/٨ والمشرجة أي المنحوتة من حرفها .

٨- ان يبادر الغاسل الى غسل يديه الى المرفقين او الى المنكبين ثلاث مرات في كل غسل من الاغسال الثلاثة.

٩- ان تكون كمية ماء التغيل ست قرب. فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوصى الى امير المؤمنين عليه السلام بست قرب كما عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام اذا انا مت فاستق لي ست قرب من ماء بر غرس فاغسلني.

١٠- اذا افتقد احد الخليطين -السدر والكافور- يكتفى بالماء القراح^(١) بدلاً عنه، وان افتقدا معاً سقطا عن الاعتبار ويغسل بالماء القراح ثلاثة اغسال مع النية بالاول بدلاً عن السدر وبالثاني بدلاً عن الكافور.

١١- عند تعذر الحصول على الماء وانعدامه ييمم الميت ثلاثاً بدلاً عن الاغسال، روي عن زيد بن علي عن آباءه عن الامام علي عليه السلام انه قال: ان قوماً اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا رسول الله مات صاحب لنا وهو مجذور فان غسلناه انسلخ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ييموه.

(١) القراح -بالفتح كالسحاب: الماء يقال فلان يشوي القراح أي سخن الماء وقريح السحاب: ماؤه حين ينزل وهو في المقام الماء الخالي من شوب السدر والكافور. حيث يكون الغسل الثالث والاخير بالماء الخالص من الخليطين.

وهناك رواية دأب الفقهاء على ذكر محتواها في الرسائل العلمية والمفصلات لما فيها من نكتة وبيان شرعي وهي بالاسناد عن عبد الرحمن بن ابي نجران انه سأل ابا الحسن موسى بن جعفر عن ثلاثة نفر كانوا في سفر، احدهم جنب، والثاني ميت، والثالث على غير وضوء، وحضرت الصلاة ومعهم من الماء قدر ما يكفي احدهم من يأخذ الماء وكيف يصنعون قال: يغتسل الجنب ويدفن الميت بتيمم وتيمم الذي هو على غير وضوء لان غسل الجنابة فريضة وغسل الميت سنة والتيمم للآخر جائز.

١٢-تجفيف بدن الميت بعد مراحل الغسل بثوب نظيف.

١٣-مواظبة الذي يقوم بالتغسيل على ذكر الله والأكثر من الاستغفار.

وهناك مكروهات في الغسل جاء الامر باجتنابها منها اقعاد الميت عند الغسل، وغسله بالماء الذي اصبح بالنار حاراً، والتخطي عليه حال التغسيل وفي خبر غياث: كره امير المؤمنين عليه السلام ان تخلق عانة الميت اذا غسل او يقلم له ظفر، او يجز له شعر.

تكفين الميت

وهو واجب بضرورة من الدين وفيه نصوص متواترة الى جانب السيرة، وفيه حفظ لطهارة بدن الميت ومساعدة له في لقاء ربه من غير تلطيخ، كما انه ستر له ومنع لظهور عورته واعضاء بدنه الاخرى سواء لمن يقوم بحمله ودفنه او لغيره وهو رحمة للاحياء في اتصال اكرام المسلم حتى بعد موته، وحائل دون قسوة القلب، وحفاظ على الوجه الجميل للحياة الدنيا، كما ان الاموات يتباهون يوم القيامة باكفانهم وقد ورد في الرواية بانهم يحشرون باكفانهم، عن الامام الصادق عليه السلام: تنوقوا في الاكفان فانكم تبعثون بها . وفي موثقة سماعة قال: سأته اي الامام الصادق عليه السلام عما يكفن الميت . قال: ثلاثة اثواب، وانما كفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثلاثة اثواب . وفي رواية الحلبي عن الصادق عليه السلام: كتب ابي في وصيته: ان اكفنه بثلاثة اثواب: احدها رداء له حبرة كان يصلي فيه يوم الجمعة وثوب اخر وقميص، وقد ورد تفصيل في اجزاء الكفن وبيان في اوصافها وهي:

١-المئزر: ويكون من السرة الى الركبة ويستحب ان يغطي ما بين الصدر والقدم.

٢-القميص: ويصل الى نصف الساق ويجزي عنه ثوب يستر جميع اعضاء البدن.

٣-الازار-بكسر الهمزة- ويجب ان يستوفي تمام البدن والاحوط ان يكون أكثر طولاً كي يشد طرفاه.

واذا لم تتوفر القدرة على ثلاثة اثواب تتم الكفاية بما تيسر. لقاعدة الميسور. ويعتبر في الكفن ستر البدن وان لا يكون حاكياً لما دونه. ومن الافضل ان يكون من نوع اللباس الذي كان الميت يصلي فيه في حياته واحسنه القطن الابيض.

ويستحب ان تزداد الحبرة -بكسر الحاء وفتح الباء- وهو ثوب يميني. والعمامة للرجل وللمرأة القناع لستر رأسها. ويستحب ان تكتب الشهاداتان على الكفن وعلى حواشيه خاصة.

وقال بعض الفقهاء في رسائلهم العملية باستحباب كتابة تمام القرآن على الكفن وذلك لان الامام موسى بن جعفر عليه السلام كفن بكفن فيه حبرة عليها القرآن كله ولكن ذلك لا يصلح للاستدلال لانه ليس من امر الامام، كما استشهد لرجحانه بما ورد في التكنين في ثوب الاحرام وفيما كان يصلي فيه، نعم يستحب كتابة دعاء الجوشن الصغير وكذلك الكبير، وعن الامام الحسين بن علي عليه السلام قال: اوصاني ابي بحفظ هذا الدعاء وتعظيمه وان اكتبه على كفته، وان اعلمه اهلي. هذا وقد كتب امير المؤمنين عليه السلام على كفن سلمان بيتين من الشعر هما:

وفدت على الكريم بغير زاد من الحسنات والقلب السليم

وحمل الزاد اقبح كل شيء إذا كان الوفود على الكريم

قاعدة الحرمة اللاحقة

وهي التي تعني حرمة المؤمن ميتاً كحرمة حياً، وعلى ذلك الاجماع كما تدل عليه نصوص عديدة منها ما جاء عن الامام جعفر الصادق عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: حرمة المسلم ميتاً كحرمة وهو حي سواء . ومنها قول الامام محمد الباقر عليه السلام ان الله حرم من المؤمنين امواتاً ما حرم منهم احياءً . وقول الامام جعفر الصادق عليه السلام: حرمة الميت كحرمة الحي.

واستدل ايضاً بسيرة الناس مطلقاً في امواتهم، وهي ليست بمجبة ولا تصلح للاستدلال فضلاً عن انها لم تتم، وان حدثت عند بعضهم عاطفة او اتفاقاً او رقة او عادة او خشية الدم واللوم والسخرية او اتباعاً للمسلمين في اكرام موتاهم.

والنصوص الواردة بالمقام تفيد العموم في تنزيل الميت منزلة الحي الا ما ورد فيه دليل، فما كان محرماً وممنوعاً منه في ايام حياته من الاهانة والايذاء والهتك والغيبة والظلم وغير ذلك من الحقوق الشرعية، يبقى حقاً له بعد الموت.

وربما الحقت الحقوق والاعتبارات المجاملة والعرفية.

والمسائل التي تفرع عن هذه القاعدة كثيرة وتراها في ابواب مقدمات العبادات وفي احكام الاموات وفي الديات والمواريث والقضاء وغيرها.

الشييع

يقال شييع الجنائة اي لحقتها وتبعها، وشييعت الضيف: خرجت معه عند مغادرته اكراماً له.

ان تشييع الميت مدرسة اسلامية ذات مضامين ايمانية واخلاقية زاخرة بالوفاء والاجلال وتبعث ضياء الموعظة وتذكر النفوس بالموت وتجعلها تتلأ منه رهبة. اذ ان موت الاخرين عبرة وانذار لمن بقي من الاحياء، لذلك يستحب اعلام المؤمنين بنزول الموت ووفاء احدهم ليبادروا الى حضور جنازته وتشييعه والصلاة عليه، روي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: ينبغي لاولياء الميت منكم ان يؤذنوا اخوان الميت بموته، فيشهدون جنازته ويصلون عليه ويستغفرون له، فيكتب لهم الاجر ويكتب للميت الاستغفار ويكتسب هو الاجر فيهم وفيما اكتسب له من الاستغفار، وروي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال في حديث: ضمنت لسة على الله الجنة رجل خرج في جنازة رجل مسلم فمات فله الجنة.

والروايات في فضل حضور تشييع المؤمن كثيرة وفيها حث ودعوة الى المبادرة في المشاركة في التشييع كما وان السنة النبوية والعملية منها خاصة حافلة بالدروس في بيان اهمية التشييع وثوابه وآدابه التي حرص المسلمون عبر اجيالهم المتعاقبة على تعامدها ولازالوا يجتهدون في حفظها ومنها:

١- ان يقول من ينظر الى الجنازة (انا لله وانا اليه راجعون)^(١) ويكبر ويقول هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، اللهم زدنا ايماناً وتسليماً، الحمد لله الذي تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيمن قالها اذا استقبل جنازة انه لم يبق في السماء ملك الا بكى رحمة لصوته. وروي عن ابي حمزة ان الامام علي بن الحسين عليه السلام كان: اذا رأى جنازة قد اقبلت قال الحمد لله الذي لم يجعلني من السواد المخترم^(٢).

٢- جاءت الأخبار بالمشي والسير في الجنازة واجتناب الركوب الا لعذر او عند العودة.

٣- ان تحمل الجنازة على الأكتاف لا على الدواب الا مع بعد المسافة وذلك رجاء المغفرة فقد روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ان المؤمن يبشر عند موته: ان الله غفر

(١) قد يكفي بعض من الناس في هذا الزمان تحية الجنازة بيده خاصة ركاب السيارات. وهو فعل غير مأثور وخال من الأجر وتوديع يقتصر الى الاعتاظ والاعتبار.

(٢) السواد المخترم: الشخص الهالك.

لك ولمن يملك الى قبرك^(١)، بالاضافة الى ماورد عن الامام الصادق عليه السلام: من اخذ بقائمة السرير غفر الله له خمسا وعشرين كبيرة، فاذا رجع خرج من الذنوب. وغير ذلك من النصوص التي تذكر ثواب الذي يشارك في التشيع، بالاضافة الى السيرة النبوية في هذا الباب. وقد حمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم جنازة سعد بن معاذ.

انها تظاهرة روحية ايمانية، واستثمار مبارك لمصيبة الموت بالاعتبار القهري والاتعاض الجماعي، ووقوف مقصود في الحركة الدائمة لمتعلقات الحياة الدنيا واسباب المعيشة. لذا يمكن ان يقوم المختصون من المسلمين في ابواب الاجتماع والنفس والفلسفة باعداد دراسات ورسائل مستقلة حول التشيع ومسائله المتشعبة.

٤- ان يمشي المشيعون خلف الجنازة او طرفيها وعليه الاجماع بالاضافة الى النص. عن اسحاق بن عمار عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: المشي خلف الجنازة افضل من المشي بين يديها. وفي خبر سدير من احب ان يمشي ممشى الكرام الكاتبين فليمش جنبي السرير^(٢).

(١) الوسائل ١/١٥٨.

(٢) الوسائل ١/١٥٧، طبعة حجرية.

٥-التفكر بمخشوع عند المشاركة بالتشييع وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر: يا ابا ذر اذا تبعت جنازة فليكن عملك فيها التفكر والخشوع واعلم انك لاحق به.

٦-تغطية الجنازة بغطاء يستحب ان يكون غير مزين، وفي تغطيتها بغطاء او ثوب ففيه احترام للميت وهيبة للموت، والسيرة تؤكدده. واما انه غير مزين، فللمصيبة ومنع الانشغال بزخرفة الدنيا لان المقام مقام اعتبار وتذكرة. ولما روي عن الامام علي عليه السلام انه نظر الى نعش اسطت عليه حلتان حمراء وصفراء زين بهما، فأمر بهما فنزعتا وقال عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اول عدل الاخرة القبور لايعرف وضيع من شريف.

٧-ان تحمل الجنازة من جهاتها الاربعة، وعليه الاجماع وفيه اكرام الميت، وقد ورد عن الامام الباقر عليه السلام : السنة ان يحمل السرير من جوانبه الاربعة.

٨-الاستغفار للميت أثناء التشييع والدعاء له وللمؤمنين بل وللنفس بطول العمر وبعده الأجل، كي يكون التشييع مركب من الوظيفة البدنية والصيغ العبادية القلبية.

وفي التشييع تكره امور ويتنافى بعضها مع آداب التشييع

ومنها:

١- الضحك ومطلق اللهوبل والكلام بغير الذكر، لأن الضحك واللهو خلاف الاعتبار بل ويستكره العقلاء . بالاضافة الى ماورد عن الامام علي عليه السلام انه تبع جنازة فسمع رجلاً يضحك فقال عليه السلام: كأن الموت على غيرنا كتب. والدعاء والاستغفار.

٢- الاسراع في المشي على وجه ينافي اكرام الميت وحسن توديعه.

٣- اشتراك النساء فيه، لما روي عن الامام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: انه نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرنة^(١) عند المصيبة، ونهى عن النياحة والاستماع اليها . ونهى عن اتباع النساء الجنائز.

ان التشيع فرصة ومناسبة لادراك حتمية مغادرة الدنيا، وقد صور بعض العلماء ذلك بتجسيد فكري وهو ان يتصور المشيع نفسه هو الميت، واثناء السير بالجنازة يتوسل بالله عز وجل لارجاعه الى الحياة الدنيا ليأتي بالصالحات ويؤدي الفرائض، فانعم الله عليه بالاستجابة ورجوعه بعد دفن الجنازة فليعمل لما بعد التوبة.

(١) يقال رنت المرأة ترن رنيناً: صوّتت .

الصلاة على الميت

وهي في حقيقتها دعاء وشفاعة واستغفار لذلك تجدها خالية من الركوع والسجود ولا يشترط فيها الوضوء والطهارة من الحدث والخبث، وفي خبر يونس قال: سألت ابا عبد الله الصادق عليه السلام عن الجنائز اصلي عليها على غير وضوء؟ فقال: نعم، انما هو تكبير وتسبيح وتحميد وتهليل^(١) كما انها لا تحتاج الى اذان او اقامة وليس فيها تشهد ولا تسليم ولا قراءة (ورد بالاسناد عن عبد الله بن ميمون القداح عن جعفر عن ابيه ان علياً عليه السلام كان اذا صلى على ميت يقرأ بفاتحة الكتاب ويصلي على النبي)^(٢) والاجماع على وجوب الصلاة على كل من حكم باسلامه باستثناء الفرق المحكوم بكفرها كالخوارج. وفي خبر طلحة بن زيد عن ابي عبد الله عليه السلام عن ابيه عليه السلام قال: صل على من مات من اهل القبلة وحسابه على الله) ورمى جماعة الرواية ومثيلاتها في المقام بضعف السند وتمسكوا بالاصل من عدم وجوبها على غير المؤمن، ولكن هذا القول ضعيف ومخالف للاجماع، والشهرة جابرة لضعف السند والصلاة تؤدي تعبداً من غير حاجة الى الاحاطة بعلة التشريع ولما فيها من تعظيم لشعائر الله واطهار الشهادتين.

(١) مهذب الاحكام ١٣٩/٤.

(٢) الوسائل ١٤٩/٢ طبعة حجرية.

والصلاة على الميت سنة كريمة تعود في بدايتها الى تأريخ وفاة ابينا آدم عليه السلام. وفي صحيحة ابن سنان قال الامام جعفر الصادق عليه السلام: لما مات آدم فبلغ الى الصلاة عليه، فقال هبة الله لجبرئيل: تقدم يا رسول الله فصل على نبي الله، فقال جبرئيل: ان الله امرنا بالسجود لابيك فلسنا نتقدم ابرار ولده، وانت من ابرهم فتقدم فكبر عليه خمساً عدد الصلوات التي فرضها الله تعالى على امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم . . . وهي السنة الجارية في ولده الى يوم القيامة^(١).

لذلك تفضل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالاجتهاد في تثبيت هذه السنة في الارض وحرص على الصلاة على كل من مات من المسلمين وبذلك وضعت الاسس الثابتة لدوام هذه السنة المباركة في الارض حيث اقتدى المسلمون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتوارثت اجيالهم هذه السنة وحرصوا على تعاهدها طاعة لله ولرسوله والتماساً لما فيها من الثواب وما يعود على الميت من النفع والشفاعة والرحمة.

لذلك فلاغربة ان تجد الروايات تذكر بان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يبادر الى الصلاة على كل مسلم ويستجيب للسؤال في هذا الباب. حتى انه صلى على عبد الله بن ابي رأس النفاق في المدينة بعد ان سأله ابنه -وكان مؤمناً- ذلك، روي عن

(١) ن.م ١٤٧/٢ .

جابر انه قال: مات رأس المنافقين بالمدينة، واوصى ان يصلي عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وان يكفنه في قميصه، فصلى عليه وكفنه في قميصه وقام على قبره، فانزل الله ﴿ولاتصل على احد منهم مات ابداً ولا تقم على قبره﴾^(١).

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يفرق في ذلك بين الغني والفقير، والذكر والانثى، فالكل محتاج الى العفو والمغفرة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم رحمة لاهل الارض. روي بالاسناد عن خارجة بن زيد بن ثابت عن يزيد بن ثابت. قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما ورد البقيع فاذا هو بقبر جديد، فسأل عنه، فقالوا: فلانة، فعرفها وقال: ألا أدتموني بها، قالوا: كنت قائلاً صائماً. فكرهنا ان نُؤذيك. قال: فلا تفعلوا لأعرفن ما مات منكم ميت، ما كنت بين اظهركم، الا أدتموني به، فان صلاتي عليه له رحمة، ثم اتى القبر فصففنا خلفه فكبر عليه اربعاً^(٢).

وتحب الصلاة صلاة الأموات على كل من مات من المسلمين، وان كان قاتلاً نفسه وعلى اطفال المسلمين اذا بلغوا من العمر ست سنين باعتبار ان ذلك هو السن الذي يعقل فيه الصلاة وتستحب لمن هو اقل من ذلك في العمر لمن ولد حياً. وتكون الصلاة بعد غسل الميت وتكفينه ولا تجزيء قبلهما الا مع تعذرهما

(١) سورة التوبة ٨٤.

(٢) سنن ابن ماجه ٤٨٩/١.

وتستحب الجماعة في هذه الصلاة خاصة وانها دعاء وشفاعة للميت في ساعة توديعه ومغادرته الدنيا الى عالم يكون فيه محتاجاً الى الرحمة والعفو ومتظلماً الى الاستغفار والدعاء، ولا يتحمل الامام في هذه الصلاة عن المأمومين شيئاً من التكبير والدعاء.

واتفق فقهاء الاسلام على اصل وجوب التكبير فيها والدعاء وربما كان اختلاف الكيفية يرجع الى السعة في هذا الباب وامكان اضافة الخصوصيات والاستحباب لذلك قال الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام (انما هي دعاء ومسألة). ويجزيء على المشهور ان يقول المصلي بعد نية القربة وتحديد الميت :

الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله،

الله اكبر، اللهم صل على محمد وآل محمد،

الله اكبر، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات،

الله اكبر، اللهم اغفر لهذا الميت،

الله اكبر.

وحيث ان هذه الصلاة مبنية في اصل تشريعها على الدعاء للميت والاستغفار له، وليس لها دعاء مخصوص ونص متعين ثابت، وان إتيان التكبيرات ولاء امر غير متعارف عند المسلمين، فانه من الاولى ان يؤتى بهذه الصلاة بكيفية أكثر تفصيلاً واعم دعاءً واستغفاراً وهي:

الله أكبر . . اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له،
الهاً واحداً واحداً فرداً صمداً حياً قيوماً دائماً ابداً، لم يتخذ
صاحبة ولا ولداً، واشهد ان محمداً عبده ورسوله، ارسله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الله أكبر . . اللهم صل على محمد وآل محمد، افضل
ما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد
مجيد، وصل على جميع الانبياء والمرسلين..

الله أكبر . . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين
والمسلمات، الاحياء منهم والاموات، تابع اللهم بيننا وبينهم
بالخيرات، انك على كل شيء قدير.

الله أكبر . . اللهم ان هذا المسجى قد امانا عبدك وابن
عبدك وابن امك، نزل بك وانت خير منزل به . اللهم انك
قبضت روحه اليك وقد احتاج الى رحمتك وانت غني عن
عذابه . اللهم انا لانعلم منه الا خيراً وانت اعلم به منا، اللهم ان
كان محسناً فزد في حسناته، وان كان مسيئاً فتجاوز عن سيئاته،
واغفر لنا وله، اللهم احشره مع من يتولاه ويحبه، اللهم الحقه
بنيك، وعرف بينه وبين نبيك، وارحمنا اذا توفيتنا يا اله العالمين،
اللهم اكتبه عندك في اعلى عليين، واخلف على عقبه في الغابرين،
واجعله من رفقاء محمد واله الطاهرين، وارحمه وايانا برحمتك
يا ارحم الراحمين . وان كانت امرأة هي الميتة التي يصلى عليها

فيقال بدل (هذا المسجى) (هذه المسجاة قدأما أملك وابنة عبدك وابنة أملك، وأأنيث الضمائر العائدة للميت). وان كان الميت طفلاً فيقال اللهم اجعله لأبويه ولنا سلفاً وفرطاً واجراً.

الله أكبر

ثم ينصرف المصلي اذ ليس في هذه الصلاة قراءة الفاتحة او ركوع او سجود او قنوت او تشهد او تسليم، وعليه الأجماع والنص.

ويستحب للمصلي ان يقف في موقفه حتى ترفع الجنائز، وفي خبر حفص بن غياث عن جعفر عن أبيه عليهما السلام ان علياً عليه السلام كان اذا صلى على جنازة لم يبرح من مصلاه حتى يراها على أيدي الرجال.

شأطها

١- وضع الميت مستلقياً، ورأسه الى يمين المصلي، ورجلاه الى يساره وهو المشهور، وادعي عليه الأجماع، وعليه النص والسيرة.

٢- ان يقف المصلي خلف الجنائز، مستقبلاً القبلة من غير حائل بينهما، ولا بعد مفرط، لكي لا يخرج عرفاً عن صفة المصلي على الجنائز، والواقف خلفها.

٣- ان تراعى فيها الموالاته، وان تجتنب اسباب محو صورة الصلاة، لظهور الادلة والسيرة بالحفاظ على وحدتها.

٤- اخذ الاذن من ولي الميت، اذ ان الولي احق الناس بالصلاة على الميت، لصلة الرحم ولقوله تعالى ﴿واولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾^(١). وبتقديم الولي واوليته ينقطع النزاع عند التشاح والاختلاف، وبه اجتناب للخصومة والفتنة والانشغال عن الذكر والاتعاض.

وللوي ان يأذن لمن يشاء بالصلاة على الميت، وهو المشهور. وفي مرسله ابن ابي عمير عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: يصلي على الجنائز اولى الناس بها، او يأمر من يحب، ولذلك نوقش فيما لو اوصى الميت قبل وفاته ان يصلي عليه غير الولي، هل يحتاج الى الاجازة من الولي وفيما اذا كان الامر مختصاً بالميت او بالوي، او انهما يشتركان فيه، والمشهور عدم نفوذها الا باجازة الولي.

آدابها

بما ان الصلاة على الميت ذات ماهية مستقلة ومناسبة معينة وكيفية خاصة خالية من الركوع والسجود، صبغتها الدعاء. فان لها آداباً خاصة منها:

(١) سورة الانفال ٧٥.

١- طهارة المصلي واستحبابها، اذ انها ليست شرطاً . وفي صحيحة عبد الحميد بن سعد قال: (قلت لأبي الحسن عليه السلام الجنازة يخرج بها ولست على وضوء فان ذهبت اتوضأ فاتني الصلاة، اصلي عليها وانا على غير وضوء . فقال: تكون على طهر احب لي) .

٢- ان يقال قبل الصلاة (الصلاة) ثلاث مرات . اذ انه ليس في هذه الصلاة اذان ولا اقامة.

٣- يستحب رفع اليدين عند التكبير الاول، وهو المشهور بين المتأخرين، وعن الشيخ في النهاية والمبسوط، والمرتضى وابن إدريس أختصاص استحباب وفعل رفع اليدين بالتكبير الأولى . بل وفي كل تكبيرة لنصوص عديدة منها صحيحة عبد الرحمن العرزمي قال: صليت خلف ابي عبد الله عليه السلام على جنازة فكبر خمساً، يرفع يديه في كل تكبيرة.

٤- رفع الامام لصوته في التكبير والدعاء، تعظيماً لشعائر الله وتعميماً للاعطاء والثواب، ولإطلاقات اسماع الامام صوته للمأموم في صلاة الجماعة.

٥- اداء الصلاة في اماكن اجتماع المسلمين وكثرتهم، ليصلي على الميت أكثر عدد منهم، وينتفع من دعائهم واستغفارهم . قال الامام جعفر الصادق عليه السلام: اذا مات المؤمن فحضر جنازته أربعون رجلاً من المؤمنين، فقالوا : اللهم انا لانعلم منه

الاخيراً، وانت اعلم به منا، قال الله تبارك وتعالى ﴿قد أجزت
شهادتكم وغفرت له ما علمت مما لا تعلمون﴾.

وهل تؤدى في المساجد، ادعي الاجماع على جواز ذلك
كما عن المنتهى، لانه من الافعال الساتفة غير المنافية لوجه
الوقف، واستدل بنصوص منها صحيحة الفضل بن عبد الملك
قال: سألت ابا عبد الله عليه السلام هل يصلى على الميت في
المسجد . قال: نعم.

وقيل بالكراهة جمعاً بين هذه النصوص وقول ابي الحسن
عليه السلام ان الجنائز لا يصلى عليها في المسجد.

الدفن

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسَهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ
الْخَاسِرِينَ . فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي
سُوءَ أَخِيهِ . قَالَ يَا أُولَئِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا
الْغُرَابِ...﴾^(١).

الآية الكريمة في ولدي آدم حيث قتل قابيل أخاه هابيل
الذي كان اول من مات من أهل الارض وقيل ان الله بعث غرابين
احدهما حي والآخر ميت، وفي قول أن احدهما قتل الآخر ثم
بحث الذي بقى حياً منهما الارض ودفن الغراب الميت . ففهم

(١) سورة المائدة ٣٤ .

قائيل وظيفته وقام بدفن أخيه، وهو قول ابن عباس وابن مسعود وابن مالك ومجاهد والضحاك وقتادة.

ان (لسوء أخيه) الواردة في الآية معنيين اولهما عورة أخيه، والثاني بدنه وهو ميت، وما فيه من الاقتضاح لعجز الانسان وما يسببه بقاؤه مكشوفاً من التنن والرائحة الكريهة وتعرضه لهوام الارض (لذلك ورد في العلل باسناده عن فضل بن شاذان عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: انما أمر بدفن الميت لتلا يظهر الناس على فساد جسده وقبح منظره وتغير رائحته ولا يتأذى الاحياء بريحه وما يدخل عليه من الافة والفساد وان يكون مستوراً عن الاولياء والاعداء فلا يشمت عدوه ولا يحزن صديقه)^(١).

والدفن لغة هو الستر والمواراة. دفنه يدفنه دفناً فهو مدفون ودفين وهو في الاصطلاح مواراة الميت في الارض، بما يحفظ جسده من السباع، ويؤمن انبعاث ريحه وما فيه من اذى للناس.

لذلك كانت السنة في بني آدم دفن الميت ومواراته في الارض ولا يعتد بما يعمله بعض ارباب مذاهب الضلال من الحرق بالنار ونحوه من البدع التي لا تتناسب واکرام الانسان بعد موته، وربما اثرت في نفوس الاحياء منهم سلباً فقد بقي الدفن هو

(١) الوسائل ١/١٥٦، طبعة حجرية.

السائد في الجنس البشري والغالب حتى في الامم الوثنية ولكن بعضاً منها بالغت في قبور ملوكها كما في زمن الفراعنة في مصر حيث اقيمت المقابر الفخمة ووضعت في القبر الهدايا والاثاث والتجهيزات التي يُضن ان الميت سيحتاج اليها، واخذ الفراعنة المتعاقبون يبالغون في تشييد مقابرهم التي انشئت على هيئة الهرم وفاقهم في ذلك الفرعون خوفو وخفرع ومنكرع من السلالة الرابعة. كما قام الامراء والوزراء ونحوهم ببناء قبور لهم حول الهرم.

وعندما كان يوسف في مصر وزيراً في دولة الفراعنة مات ابوه نبي الله يعقوب فوضعه في تابوت ومضى به بنفسه ودفنه في بيت المقدس كما اوصاه الى جنب ابيه اسحق. وكذلك فعل بجمان يوسف ولو بعد مدة مديدة من وفاته.

فقد جاء عن الامام محمد الباقر عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قد نزل على رجل بالطائف قبل الاسلام فاكرمه فلما ان بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الى الناس

قيل للرجل ادري من ارسله الله عز وجل الى الناس؟

قال: لا،

قالوا له: محمد بن عبد الله يتيم ابي طالب وهو الذي كان نزل بك بالطائف يوم كذا وكذا فاكرمه.

قال: فقدم الرجل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلم عليه واسلم ثم قال له اتعرفني يا رسول الله؟

قال: من انت؟

قال: انا رب المنزل الذي نزلت به بالطائف في الجاهلية يوم كذا وكذا فاكرمتك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مرحباً بك سل حاجتك.

فقال اسألك مائتي شاة برعاتها.

فأمر له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما سأل ثم قال لاصحابه ما كان على هذا الرجل ان يسألني سؤال عجوز بني اسرائيل لموسى عليه السلام ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله عز ذكره اوحى الى موسى ان احمل عظام يوسف من مصر قبل ان تخرج منها الى الارض المقدسة بالشام. فسأل موسى عن قبر يوسف عليه السلام فجاءه شيخ فقال: ان كان احد يعرف قبره ففلانة، فارسل موسى عليه السلام اليها فلما جاءته قال: تعلميني موضع قبر يوسف عليه السلام؟ فقالت: نعم. قال: فديني عليه ولك ما سألت. قالت: لادلك عليه الا بحكمي، قال: فلك الجنة. قالت: لا، الا بحكمي عليك، فاوحى الله عز وجل الى موسى لا يكبر عليك ان تجعل لها حكماً، فقال لها موسى فلك حكمك، قالت فان حكمي ان اكون معك في

درجتك التي تكون فيها يوم القيامة في الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما كان على هذا لوسألني ما سألت عجزوز بني اسرائيل.

لقد اولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دفن المسلمين أهمية خاصة، وكان يشارك في التشييع ولا يغادر حتى تتم مواراة الميت في القبر وبذلك وضع للمسلمين وأجيالهم المتعاقبة سنة شريفة في الدفن واحكامه وادابه وفيها الكثير مما يساهم في تخفيف عذاب البرزخ وشدته.

روي عن الامام علي عليه السلام انه قال: شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جنازة رجل من بني عبد المطلب فلما انزلوه في قبره، قال: اضجعوه في لحده على جانبه الايمن مستقبل القبلة ولا تكبوه لوجهه ولا تلقوه لظهره.

من مسائل الدفن

- ١- دفن الميت واجب كفائي وعليه الاجماع اي ان قام به واحد سقط عن الاخرين وان ترك اثم الجميع لعدم الامتثال ولان الخطاب لم يتوجه الى شخص بعينه بل لكافة المكلفين.
- ٢- اذن الولي باعتباره شرطاً وليس مانعاً، لظهور النصوص في اعتباره مثل قوله عليه السلام: (الزوج احق بامرأته حتى يضعها في قبرها).

٣- لا يجوز الدفن في المكان المغصوب، وعليه الاجماع، لحرمة التصرف في مال الغير بدون اذنه، خاصة وان الميت يحتاج في قبره الى العفو والرحمة والمغفرة.

٤- ان يحفر القبر قدر قامة الانسان متوسط الطول وان يجعل له مما يلي القبلة لحد، اذ ان القبر نوعان، احدهما شق وهو ان تحفر الارض ويوضع الميت ويبنى عليه، وتطم الحفيرة.

والاخر لحد -بفتح وكسر اللام وسكون الحاء- وهو ان تحفر الارض ثم يحفر بقدر بدن الميت -طولاً وعرضاً- ومن اسفل الحفيرة وبالاتجاه الذي يكون فيه الميت مستقبلاً للقبلة، وبعمق يكون فيه الميت قادراً على الجلوس لقول الامام جعفر الصادق عليه السلام (واما اللحد فبقدر ما يمكن فيه الجلوس. وقول الامام الرضا عليه السلام: قأمرهم ان يجعلوا اللحد ذراعين وشبراً. واتخاذ اللحد مما أجمع عليه، وقد ورد في صحيح الترمذي بالاسناد عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: اللحد لنا والشق لغيرنا، وفي صحيحة الحلبي عن الصادق عليه السلام: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحد له ابو طلحة الانصاري^(١).

(١) أنظر الوسائل ١٥٩/١ صحيح الترمذي ٣٦٥/٣.

٥- ان يدفن الميت في المقبرة القريبة حيث يسهل دفنه ووصول اهله اليه وكثرة من يقرأ له الفاتحة ويستغفر له الا ان تكون في الابد مزايا واسباب للترجيح.

٦- وضع الجنازة دون القبر ببضعة اذرع كي يستعد للقبر وولوج عالمه (قال يونس: حديث سمعته عن ابي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ما ذكرته وانا في بيت الاضاق عليّ يقول: اذا اتيت بالميت الى شفير القبر فامهله ساعة فانه يأخذ اهبتة للسؤال^(١)).

٧- ان يرسل الى القبر برفق وتؤدة عن الامام الرضا عليه السلام قال: والميت يسلم من قبل رجله ويرفق به اذا ادخله قبره.

٨- الدعاء عندما يسلم من النعش: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم الى رحمتك لا الى عذابك، اللهم افسح له في قبره، ولقنه حجتة وثبته بالقول الثابت وقنا واياه عذاب القبر.

وعند الشروع في ادخاله في القبر: اللهم اجعله روضة من رياض الجنة، ولا تجعله حفرة من حفر النار.

وعندما يوضع الميت في القبر يقال: اللهم عبدك وابن عبدك وابن امك نزل بك وانت خير منزل به واذا كانت امرأة هي الميتة يؤنث الضمير فيقال: امك وابنة عبدك.

(١) الوسائل ١/١٦٠، طبعة حجرية.

وبعد ان يوضع الميت في قبره يقال: اللهم جاف الارض عن جنبيه، وصاعد عمله ولقنه منك رضواناً . وكان الامام علي بن الحسين عليه السلام يقوله اذا ادخل الميت في قبره.

وعندما يوضع الميت في اللحد يقال: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم تقرأ سورة الفاتحة وآية الكرسي والمعوذتين وسورة التوحيد -الاخلاص- مع الالتفات الى عدم ترك الاستعاذة.

واثناء اشتغاله بالتشريح^(١) يقول: اللهم صل وحدته وأنس وحشته وآمن روعته، واسكنه من رحمتك رحمة تغنيه بها عن رحمة من سواك، فانما رحمتك للظالمين.

وعند الخروج من القبر يقول: انا لله وانا اليه راجعون، اللهم ارفع درجته في عليين، واخلف على عقبه في الغابرين، وعندك نحتسبه يارب العالمين.

وعند اهالة التراب عليه يقال: انا لله وانا اليه راجعون، اللهم جاف الارض عن جنبيه، واصعد اليك بروحه، ولقنه منك رضواناً واسكن قبره من رحمتك ما تغنيه به عن رحمة من سواك ويقال ايضاً ايماناً بك.

٩- ان تحل عقد الاكفان من قبل طرف الرأس ثم الرجلين، عن الصادق عليه السلام: اذا وضعته في لحده فحل عقده.

(١) يقال: شرجت اللبن شرجاً، أي فضدته وضممت بعضه الى بعض.

١٠- ان يحسر عن وجهه وتعمل له وسادة من التراب ويكون خده على الارض.

١١- بعد وضع الميت في اللحد وقبل ان يستر باللين يجري تلقينه ويدني الملقن فمه من اذن الميت ويقول: يا فلان بن فلان اسمع افهم (ثلاث مرات) الله ربك، ومحمد نبيك، والإسلام دينك، والقرآن كتابك، ويذكر الائمة عليهم السلام. افهمت يا فلان. ثبتك الله بالقول الثابت، وهداك الله الى صراط مستقيم، عرف الله بينك وبين اوليائك في مستقر من رحمته، اللهم جاف الارض عن جنبيه، واصعد بروحه اليك، ولقه منك برهاناً اللهم عفوك عفوك.

وهناك صيغ اخرى للتقنين ومفرداته مذكورة في المصطلحات من الكتب الفقهية.

١٢- سد اللحد باللين والطين لحفظ بدن الميت من التراب (بالاسناد عن عبد الله بن سنان ان الامام جعفر الصادق عليه السلام قال في حديث: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل على لحد سعد بن معاذ وسوى اللين عليه وجعل يقول ناولني حجراً ناولني تراباً رطباً يسد به ما بين اللبنتين فلما ان فرغ وحشى عليه التراب وسوى قبره قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اني لأعلم انه سيبلى

ويصل اليه البلا ولكن الله يحب عبداً اذا عمل عملاً
احكمه^(١).

١٣- يستحب ان يكون الذي يضع الميت في قبره على طهارة
وضوءاً او تيمماً، لما ورد في صحيحة محمد بن مسلم عن
الصادق عليه السلام: توضأ اذا ادخلت الميت القبر. المحمول
على الندب جمعاً بينها وبين صحيحة الاخرى عن احدهما
عليهما السلام قال: قلت له: من ادخل الميت القبر عليه
وضوء قال: لا، الا ان يتوضأ من تراب القبر ان شاء وعندما
يخرج يكون خروجه من طرف الرجلين.

١٤- ان يهيل عليه الحاضرون -من غير رحم- التراب بظهور
الكف وهو يقولون انا لله وانا اليه راجعون.

١٥- يضع المرأة في قبرها بعض محارمها وان تعذر ذلك فبعض
ارحامها والا فالاجانب.

١٦- يرفع القبر بارتفاع مقداره اربع اصابع مفرجات وعن الصادق
عليه السلام: ان ابي امرني ان ارفع القبر اربع اصابع
مفرجات.

١٧- ان يكون القبر مستطيلاً ذا زوايا قائمة ومسطحاً ولايسنم
كسنام البعير ولايعمل بهيئة الدائرة ولايكون بيضاوياً.

(١) الوسائل ١/١٦٨ ، طبعة حجرية.

١٨- وضع علامة او لوحة تشير الى القبر وصاحبه . وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما دفن عثمان بن مظعون^(١) دعا بججر فوضعه عند رأس القبر وقال: (يكون علماً ليدفن اليه قرابتي) .

١٩- ان يرش القبر بالماء، وفي مرسلة ابن ابي عمير عن الامام الصادق عليه السلام قال: (يتجافى عنه العذاب مادام الندى في التراب) . والاولى ان يبدأ صب الماء من الرأس بأستقبال القبلة.

٢٠- يضع الحاضرون اصابعهم على القبر روي عن الامام الباقر عليه السلام انه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصنع بمن مات من بني هاشم خاصة شيئاً لا يصنعه بأحد من المسلمين، كان اذا صلى على الهاشمي ونضح قبره بالماء، وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفه على القبر حتى ترى اصابعه في الطين، فكان الغريب يقدم او المسافر من اهل المدينة فيرى القبر الجديد عليه اثر كف

(١) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة قال ابن اسحاق اسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً وهاجر الى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الاولى، وكان زاهداً عابداً ترك الدنيا وملذاتها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحبه حباً شديداً . مات بعد ان شهد بدرًا في السنة الثانية من الهجرة وهو اول من مات في المدينة من المهاجرين ودفن بالبقيع . وروي في الفقيه عن الامام الصادق عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل عثمان بن مظعون بعد موته وفي الإصابة عن عائشة قبله وهو ميت وهو يبكي وعيناه تذرفان-أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولما توفي ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون . وقالت امرأة ترثيه
يا عين جودي بدمع غير ممنون
على رزية عثمان بن مظعون .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: (من مات من آل محمد)^(١).

٢١- ان يقوم الولي او غيره بتلقين الميت تلقيناً اخر بعد اتمام الدفن وانصراف من حضر. فقد روي عن يحيى بن عبد الله انه قال: سمعت ابا عبد الله الصادق عليه السلام يقول ما على أهل الميت منكم ان يدرؤا عن ميتهم لقاء منكر ونكير. قال: قلت: كيف نصنع؟ قال: اذا افرد الميت فليستخلف عنده اولى الناس به فيضع فمه عند رأسه ثم ينادي باعلى صوته يا فلان بن فلان

(هل انت على العهد الذي فارقتنا عليه من شهادة ان لا اله الا الله وحده وان محمداً عبده ورسوله سيد النبيين وان علياً امير المؤمنين وان ماجاء به محمد حق وان الموت حق والبعث حق وان الله يبعث من في القبور قال: فيقول منكر لنكير انصرف بنا عن هذا فقد لقن حجة)^(٢).

وهناك مستحبات اخرى مذكورة في المفصلات كذلك هناك مكروهات في الدفن كدفن ميتين في قبر واحد، وفرش القبر بالساج والاجر ونحوه، ونزول الاب في قبر الابن لاحتمال جزعه، وسد القبر بتراب من غير ترابه، والمقام على القبور،

(١) الوسائل ١/١٦٤، طبعة حجرية.

(٢) الوسائل ١/١٦٤، طبعة حجرية.

والجلوس عليها، ونقل الميت من البلد الذي يموت فيه الى بلد اخر لما نسب الى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (ادفنوا الاجساد في مصارعهم ولا تفعلوا كفعل اليهود فان اليهود تنقل موتاهم الى بيت المقدس-الحديث) واستثنى فقهاء الامامية من ذلك النقل للمشاهد المشرفة والاماكن المقدسة للروايات الواردة في شأنها كالنقل من عرفات الى مكة. والنقل الى النجف لو اذاً بجوار الامام علي عليه السلام رجاء النجاة من عذاب البرزخ. روي عن علي بن سليمان قال: كتبت اليه -أي الامام الصادق- اسأله عن الميت يموت بعرفات يدفن بعرفات او ينقل الى الحرم فأيهما افضل فكتب يحمل الى الحرم ويدفن فهو افضل. وقد ورد في الحديث: ان موسى بن عمران لما حضرته الوفاة سأل ربه ان يدينه الى الارض المقدسة رمية حجر، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لو كنت ثم لا ريتكم قبره عند الكئيب الاحمر). وفي رواية هارون بن خارجة قال: سمعت ابا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: من دفن في الحرم امن من الفزع الاكبر فقلت: من بر الناس وفاجرهم؟ قال: من بر الناس وفاجرهم^(١). وفي ارشاد الديلمي: ان من خواص تربة الغري

(١) الوسائل ٣٦٧/٢، طبعة حجرية.

اسقاط عذاب القبر وترك محاسبة نكير ومنكر هناك كما
ورد في الاخبار الصحيحة عن اهل البيت^(١).

٢٢- البكاء على الميت جائز، وروى ابن القداح عن الامام جعفر
الصادق عليه السلام انه قال: لما مات ابراهيم^(٢) ابن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم هملت عين رسول الله بالدموع
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: تدمع العين
ويحزن القلب ولا تقول ما يسخط الرب وأنا بك يا ابراهيم
لحزونون) كذلك روى الشيخ الطوسي في اماليه بالاسناد عن
ابن ابي مليكة عن عائشة انها قالت: لما مات ابراهيم بكى
النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى جرت دموعه على
لحيته فقيل: يا رسول الله: تنهى عن البكاء وانت تبكي؟
فقال: ليس هذا بكاء وإنما هي رحمة ومن لا يرحم لا يرحم).

روي عن الامام الصادق عليه السلام ان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم حين جاءته وفاة جعفر بن ابي طالب

(١) مهذب الاحكام ٤/٢٤١.

(٢) ابراهيم ابن سيد النبيين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، ولد في ذي الحجة سنة
ثمان للهجرة. وفي الإصابة عن مسند أحمد عن عروة عن عائشة قالت: لقد توفي ابراهيم بن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن ثمانية عشر شهرا فلم يصل عليه. وعن البراء قال: قد
صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ابنه ابراهيم ومات وهو ابن ستة عشر شهرا
وورد في الحديث ١٥١١ من سنن ابن ماجه بالاسناد عن ابن عباس قال لما مات ابراهيم ابن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال ان له مرضعا في الجنة، ولو عاش لكان صديقا
نبيا، ولو عاش لعقت أخواله القبط وما استرق قطبي. وضعف قوم الحديث لحي ابراهيم بن
عثمان في إسناده الذي قال فيه أحمد: منكر الحديث. وقال النسائي: متروك الحديث. كما
انه ذكر الصلاة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم مطلقة دون تقييد.

وزيد بن حارثة كان اذا دخل بيته كثر بكاءه عليهما جداً
ويقول: كانا يحدثناني ويؤنساني فذهبا جميعاً.

عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: البكاؤون
خمسة آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن
الحسين عليهم السلام. فاما ادم فبكى على الجنة حتى صار
في خديه امثال الاودية واما يعقوب فبكى على يوسف حتى
ذهب بصره وحتى قيل له تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون
حرضاً أو نكون من الهالكين واما يوسف فبكى على يعقوب
حتى تأذى به اهل السجن فقالوا: اما ان تبكي الليل
وتسكت بالنهار واما ان تبكي النهار وتسكت بالليل
فصالحهم على واحد منهما، واما فاطمة فبكت على رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تأذى اهل المدينة فقالوا
لها: قد اذيتنا بكثرة بكائك وكانت تخرج الى المقابر مقابر
الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف، واما علي
بن الحسين فبكى على الحسين عشرين سنة واربعين سنة ما
وضع بين يديه طعام الا بكى حتى قال له مولى له: جعلت
فداك اني اخاف عليك ان تكون من الهالكين. قال: انما
اشكوبثي وحزني الى الله^(١) اني لم اذكر مصرع بني فاطمة
الا خنفتني عبرة.

(١) سورة يوسف ٨٦.

في ضيافة القبر

انه فراق لعالم الدنيا وایامها التي رافقته في سني حياته كلها ونما فيها لحمه وعظمه واسدلت عليه نعمها وزينتها بغير حساب. ليدخل الى هذا المكان الضيق الموحش.

وهو وان كان على موعد موقوت معه ولا تحفى عليه اهم معالمه الا ان الانسان يقضي ساعات تلك الليلة في خوف ورعب متصل وغربة مظلمة وفزع من احوال ما دخل فيه من عالم رهيب ذي فصول مملوءة بالمخاوف والحساب وصنوف البلاء بالاسناد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: ما من قبر الا وهو ينطق كل يوم ثلاث مرات انا بيت التراب، انا بيت البلى، انا بيت الدود، قال: فاذا دخله عبد مؤمن قال: مرحباً واهلاً، اما والله لقد كنت أحبك وانت تمشي على ظهري فكيف اذا دخلت بطني، فستري ذلك. قال: فيفسح له مدّ البصر ويفتح له باب يرى مقعده من الجنة، قال: ويخرج من ذلك رجل لم تر عيناه شيئاً احسن منه. فيقول يا عبد الله ما رأيت شيئاً قط احسن منك، فيقول: انا رأيتك الحسن الذي كنت عليه وعملك الصالح الذي كنت تعمله، قال: ثم تؤخذ روحه فتوضع في الجنة حيث يرى منزله، ثم يقال له: ثم قرير العين، فلاتزال نفحة من الجنة تصيب جسده يجد لذتها وطيبها حتى يبعث.

قال: واذا دخل الكافر قالت: لامرحباً بك ولا اهلاً، اما والله لقد كنت ابغضك وانت تمشي على ظهري، فكيف اذا دخلت بطني؟ سترى ذلك، فتضم عليه فتجعله رميماً ويعاد كما كان، ويفتح له باب الى النار فيرى مقعده من النار، ثم قال: ثم انه يخرج منه رجل اقبح من رأى قط. قال: فيقول: يا عبد الله من انت؟ ما رأيت شيئاً اقبح منك، قال. فيقول: انا عمك السيء الذي كنت تعمله، ورأيت الخبيث، قال: ثم تؤخذ روحه فتوضع حيث رأى مقعده من النار، ثم لم تنزل نفحة من النار تصيب جسده فيجد المها وحرها الى يوم البعث، ويسلط على روحه تسعة وتسعون نيناً تنهشه ليس فيها تنين تنفخ على وجه الارض فتبت شيئاً).

انها اول ساعات الجزاء، يأتي فيها الفزع والرعب دفعة واحدة وبما يفوق التصور ومن غير ظهير او ملاذ الا العمل الصالح وايمان الفرائض الذي تظهر منافعه وبركاته منذ اللحظات الاولى لدخول القبر، ليتخذ المؤمن عوناً وسلاحاً وواقية وهناك يبدو البون الشاسع بين المؤمن والكافر، بين المطيع والعاصي انه اوان الحساب وتلمس المؤمن لرحمته تعالى وحسرة الكافر حيث لا ينفع الندم. لذا ورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: الرحمون اسم خاص بصفة عامة، والرحيم اسم عام بصفة خاصة).

اي ان الرحمن خاص بالدينا وحاجات الناس فيها وارزاقهم واحوالهم وما فيه الذب عنهم وصرف البلاء والكرب عنهم قبل حلول اجله بغض النظر عن هوية الايمان او موضوع التلبس بالكفر لان ملاك الرحمة هنا هو انهم خلق الله كما ترى انه سبحانه يرسل السحاب وينزل المطر فيصيب به البر والفاجر، وقد تجدد قوماً يتعمون مع ضلالتهم بخيرات الارض وكنوزها لرحمة منه تعالى في الخلق جارية، وحكمة سماوية وحجة بالغة .

اما الرحيم فهو اسم لله عز وجل تختص افاضاته بشؤون المؤمن وحاجاته، واسباب رزقه، وجوانب اموره، ومستلزمات عبادته في الحياة الدنيا، وكذلك في تخفيف احوال البرزخ والحساب وتقلبه في احوال الدار الآخرة.

فالمؤمن ينتفع مستفيداً من صفة الرحمن والرحيم في دار الحياة الدنيا ومن (الرحيم) في الدار الآخرة، بينما لا ينتفع الكافر الا من صفة الرحمن وفي الحياة الدنيا فقط ليس هذا فحسب بل ان هذا النفع يكون عليه في الآخرة حجة وحسرة دائمة وابتداءً من الدخول الى القبر^(١) قال تعالى: «ثم لتسألن يومئذ عن النعيم»^(٢) .

(١) انظر معالم الايمان في تفسير القرآن ٤٦/١ .

(٢) سورة التكاثر ٨ .

إنها الليلة التي يبقى البدن مستوحشاً وقد غادرته الروح
وأصبح مفتقراً الى التدبير، عاجزاً عن الحيلة، لا يستطيع احداث
ما يدفع عنه البلاء وهو يجهل ما يرد عليه منه في تلك الليلة
الرهيبه وما عده الملائكة لاستقباله مما يتناسب مع اعماله بل انه
لا يعلم من الذي سيأتيه منهم ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب .
يزاحم الاسف والحسرة والخوف الذي الم به والفرع الذي استولى
على اركان بدنه لعدم اعتباره من مغادرة الاجيال السابقة الدنيا
وعدم اتعاظه من اختطاف الموت لآبائه، وتوظيفه في صالح
الأعمال والاستعداد لهذه الليلة، وشراء الامان فيها الذي اصبح
لاينال باموال الدنيا او امتلاكها في حياته ..

تعاد عليه صور الدنيا وسيرته فيها فيندم لتفويته فرص
الصالحات التي كانت تعرض عليه وتضييعه المال والجهد في اعمال
اخرى خالية من الاجر والثواب، بل ان الندم حينئذ مركب .
لعدم الاذن بالرجعة وانعدام الفرصة للتوبة ويمتلاً اسىً في ارتعاد
حين حضور الذنوب والسيئات التي ارتكبها في حياته بعد غياب
لذاتها وبقاء تبعاتها التي اصبحت مجسدة وتأكد من كتابتها
وتسجيلها وثبيتها من قبل الملائكة ولم ينفعه حرصه على اخفائها
عن الناس . وكيف انه جنى على نفسه مرة اخرى وحاول
نسيانها وترك الاستغفار منها واتهاج التوبة سبيلاً لحوها .

انه يطلق نداءات الاستغاثة الى اهله وذويه من اهل الدنيا الذين افنى ايام عمره من اجلهم، وانفق امواله في اعاشتهم، وحرص على ارضائهم لينقذوه او ليحرسوه او ليعينوه ولايتوانى في سؤالهم ببعث ما يخفف عنه احوال تلك الليلة ويبدد ظلمة القبر من الأعمال الصالحة واهداء ثوابها اليه. ولا يلبث بعد ان يتيقن من عدم سماعهم لاستغاثة او عدم الاستماع اليها وتناقلهم عن الاستجابة ان يعود الى ذم نفسه ولومها على الاسراف والتقصير في ابواب الورع والتقوى (روي عن الامام محمد الباقر عليه السلام انه قال: اتقوا الله واستعينوا على ما انتم عليه بالورع والاجتهاد في طاعة الله، فان اشد ما يكون احدكم اغتباطاً بما هو عليه لو قد صار في حد الآخرة وانقطعت الدنيا عنه، فاذا كان في ذلك الحد عرف أنه قد استقبل النعيم والكرامة من الله، والبشرى بالجنة، وامن تمن كان يخاف، وايقن ان الذي كان عليه هو الحق، وان من خالف دينه على باطل هالك)^(١).

ولا يفقد المؤمن في تلك الليلة خيوط ضياء الايمان وبريق اشعة الامل لما اعده من الطاعات لهذه الليلة وما فيها من الشدة والمحن، وتكون ساعات عبادته وصلاح اعماله وقاء من العذاب. وحاجباً يدرء عنه اليم العقاب بل انها تصبح باباً لرحمته تعالى، ومدخلاً كريماً الى منازل مرضاته عز وجل (فقد

(١) مجاز الانوار ٦/١٨٧.

ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران^(١).

ان الصدقة في تلك الليلة واهداء ثوبها الى الميت في قبره وكذلك صلاة ليلة الدفن سبيل من سبل الاحسان لتخفيف وطأة آلم تلك الليلة (وفي رسالة الكفعمي . قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يأتي على الميت اشد من اول ليلة فارحموا موتاكم بالصدقة فان لم تجدوا، فليصل احدكم يقرأ في الاولى الحمد وآية الكرسي وفي الثانية الحمد والقدر عشرين فاذا سلم قال (اللهم صل على محمد وآل محمد وابعث ثوبها الى قبر فلان) فانه تعالى يبعث من ساعته الف ملك الى قبره مع كل ملك ثوب وحلة^(٢).

وتؤدي صلاة ليلة الدفن هذه في الليلة الاولى لدفن الميت، واحتمل بعض الفقهاء شمولها لليلة الموت بالنسبة لمن يتأخر دفنه عنها . لذلك لابس بادائها في الليلتين اي ان صليت في ليلة الوفاة فلا بد من تكرارها في ليلة الدفن لبقاء الموضوع . ويجوز الاتيان بها في اي ساعة من ساعات الليل كما ان المبادرة الى ادائها في اول الليل امر حسن باعتبار انها مسارعة في الخيرات.

(١) ن.م. ٢٠٥/٦ .
(٢) مهذب الاحكام ١١٧/٩ .

بالاسناد عن سعيد بن جناح قال: كنت عند ابي جعفر في منزله بالمدينة فقال مبتدئاً: من اتم ركوعه وسجوده لم تدخله وحشة في القبر^(١).

كما ورد عن الامام الصادق عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من قرأ الهاكم التكاثر عند النوم وفي فتنة القبر. اي ان السورة تكون له واقية وحرزاً يومئذ.

منكر ونكير

لم يخلق الله عز وجل خلقاً أكثر من الملائكة واناط بهم الأعمال والوظائف المختلفة لحكمته في الخلق ولحسن تديره جلت قدرته وهو القادر على الفعل من غير اداة او واسطة اذ ان جميع الاشياء مستجيبة لمشيئته فطائفة من الملائكة موكلون بجمل العرش، واخرون مشغولون بالتسبيح وهو حافون من حوله. وقفة تتولى حفظ الاسماء، واخرى لحفظ بني ادم، ومنهم الكتبة الذين يدونون اعمال العالمين ونسخها ورفعها، وطائفة منقطعة الى العبادة والتسبيح كما ورد في حديث الاسراء فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ثم مررنا بملائكة من ملائكة الله عز وجل خلقهم الله كيف شاء ووضع وجوههم كيف شاء ليس شيء من اطباق اجسادهم الا وهو يسبح الله ويحمده من كل

(١) الوسائل ١/٣٨٥، طبعة حجرية.

ناحية باصوات مختلفة، اصواتهم مرتفعة بالتمجيد والبكاء من خشية الله فسألت جبرائيل عنهم. فقال: كما ترى خلقوا ان الملك منهم الى جانب صاحبه ما كلمهم كلمة قط ولا رفعوا رؤوسهم الى ما فوقهم ولا خفضوها الى ما تحتهم خوفاً من الله وخشوعاً فسلمت عليهم فردوا عليّ ايماءً برؤوسهم لا ينظرون اليّ من الخشوع فقال لهم جبرئيل هذا محمد نبي الرحمة ارسله الله الى العباد رسولاً نبياً وهو خاتم النبيين وسيدهم. أفلاتكلمونه؟ فلما سمعوا ذلك من جبرئيل اقبلوا عليّ بالسلام واکرموني وبشروني بالخير لي ولا متي مولعون بذكر الله والشكر على ما انعم عليهم، وما يرون من آيات الله وعجائب صنعه فلا يبالون بغير التسييح والعبادة.

ومن الملائكة من وكل بحفظ الجبال ومنهم من يقوم بحزن الرياح او يشيع الثلج وغير ذلك مما يتعذر احصاؤه من الأعمال الجليلة. وفي الصحيفة السجادية دعاء في الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرب واوله:

اللهم وحملة عرشك الذين لا يفترون عن تسيحك ولا يسمون من تقديسك... الى ان يقول وملك الموت واعوانه ومنكر ونكير، ورومان فتان القبور^(١).

(١) أنظر بحوث في الصحيفة السجادية للمؤلف ٢/٤٠-٤٩.

ومنكر ونكير لغة كمحسن وكريم وهما ملكان من ملائكة الله عز وجل ينكران اعمال واخلاق السوء من العبد عند ادخاله في القبر.

ولقد اتفق اهل الاسلام على سؤال منكر ونكير للميت في قبره وما يتعرض له الكفار من العذاب عند السؤال ومخالفة شخص واحد وهو ضرار بن عمرو للاجماع في هذا الباب امر لا يعتد به خاصة وان السمع تواتر بحدوث هذا العذاب للكفار بالاضافة الى امكان ذلك وورد استشهاد في المقام بقوله تعالى: ﴿قالوا ربنا امنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا﴾^(١) وان أحد الاحياء يكون في القبر للحساب وفيه يكون الاعتراف بالذنوب. ومن الناس من اثبت العذاب في القبر دون الاحياء ومنهم من وصف العذاب بانه اجتماع للالام في الجسد. ومنهم من قال بالاحياء ولكن من غير اعادة للروح.

وانكر الجبائي وابنه البلخي تسمية الملكين منكراً ونكيراً وقالوا انما المنكر ما يصدر من الكافر عند تلجلجه اذا سئل والنكير انما هو تفرغ الكافر وهو قول ينطلق من المفهوم اللغوي للكلمة والتقييد الدقيق بمنطوقها والا فهو قول مخالف لظاهر الحديث.

(١) سورة غافر ١١.

وقد اختلف في الوظيفة الاضافية لمنكر ونكير من تعذيب الميت بعد سؤاله. فهل هما اللذان يتولان عذاب الكافر، ام انهما يكتفيان بالسؤال ثم يوكلان الميت اما الى ملائكة النعيم او الى ملائكة العذاب. او ان احدهما من ملائكة النعيم والاخر من ملائكة العذاب. فان اجاب الميت بما يستحق النعيم قام عنده ملك النعيم وان ظهر انه يستحق العذاب تولاه ملك العذاب وغادره ملك النعيم. وربما كان السؤال والعذاب في ساعة واحدة وهما اللذان يقومان به ولايبعد ان يكون لهما اعوان كما للملك الموت اعوان (وقد روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: اذا أقبر الميت أتاه ملكان اسودان أزرقان يقال لأحدهما: منكر، وللآخر: نكير، يقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فان كان مؤمناً فيقول: هو عبد الله ورسوله، اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله، فيقولان: قد كنا نعلم انك تقول هذا، ثم يفسح في قبره سبعين ذراعاً في سبعين ذراعاً، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نعم، فيقول: ارجع الى اهلي فاخبرهم؟ فيقولان: نعم كنومة العروس الذي لا يوقظه الا أحب اهله، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وان كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله، لا ادري. فيقولان: قد كنا نعلم انك تقول ذلك، فيقال للارض: التمي عليه، فلتسم عليه فتختلف اضلاعه،

فلا يزال معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك^(١). وفي صحيح الترمذي ورد اسما الملكين بالتعريف: المنكر والنكير. والروايات في هذا الباب كثيرة وتشير في مضامينها الى حقيقة السؤال في القبر بالاسناد عن الامام موسى بن جعفر عن ابيه عليهما السلام قال: اذا مات المؤمن شيعة سبعون الف ملك الى قبره، فاذا ادخل قبره اتاه منكر ونكير فيقعدانه ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، ومحمد نبيي، والاسلام ديني، فيفسحان له في قبره مدّ بصره، ويأتيناه بالطعام من الجنة، ويدخلان عليه الروح والريحان، وذلك قوله عز وجل: فاما ان كان من المقربين فروح وريحان. (يعني في قبره وجنة نعيم) يعني في الاخرة، ثم قال: اذا مات الكافر شيعة سبعون الفاً من الزبانية الى قبره، وانه ليناشد حامله بصوت يسمعه كل شيء الا الثقلان ويقول: لو ان لي كرة فاكون من المؤمنين، ويقول: ارجعون لعلي اعمل صالحاً فيما تركت، فتجيبه الزبانية: كلا انها كلمة انت قائلها، ويناديهم ملك: لورد لعاد لما نهى عنه، فاذا ادخل قبره وفارقه الناس اتاه منكر ونكير في اهل صورة فيقيمانه ثم يقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيتلجلج لسانه ولا يقدر على الجواب، فيضربانه ضربة من عذاب الله يذعر لها كل شيء، ثم يقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا ادري. فيقولان له:

(١) مجاز الانوار ٦/٢٧٦ . صحيح الترمذي ٣/٣٨٣ .

لادريت ولاهديت ولافلحت، ثم يفتحان له باباً الى النار وينزلان اليه من الحميم من جهنم، وذلك قول الله عز وجل ﴿واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم﴾ يعني في القبر ونصليه جحيم يعني في الاخرة.

وعندما يتحدث الامام جعفر الصادق عليه السلام عن عذاب القبر ويقول: ثم يدخل عليه ملكا القبر وهما قعيدا القبر منكر ونكير. يسأله ابو بصير قائلاً: جعلت فداك يدخلان على المؤمن والكافر في صورة واحدة؟ فقال عليه السلام: لا. قال: فيقعدانه ويلقيان فيه الروح الى حقويه فيقولان له: من ربك؟ ... الحديث. اي ان اختلاف صورهما يشبه تباين صور ملك الموت بالنسبة للمؤمن والكافر.

وقد انكر بعضهم تسميتهما منكرًا ونكيرًا باعتبار ان المنكر ما يصدر من الكافر والمتردد في الاجابة على سؤالهما والنكير ما يصدر عنهما من التوبيخ والتقريع وعند القائلين بذلك ليس للمؤمن منكر ونكير. والاحاديث الصريحة وكما تقدم تنص على اسميهما وربما كانت التسمية لادنى ملابسة وللانذار والتخويف. بالاضافة الى الاصل في وظيفتهما وهو السؤال. كذلك فان فعل الصالحات سلاح للنجاة من شدة الامتحان في لقاء الملكين، واتيان العبادات وقاء ومفتاح امان وباب تخفيف في ساعة المحنة. روي بالاسناد عن الامام جعفر الصادق عليه

السلام قال: اذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره، والبر مطل عليه. قال: فيتحنى الصبر ناحيةً فاذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءته قال الصبر للصلاة والزكاة: دونكما صاحبكم فان عجزتم عنه فانا دونه. والبر: الخير والاحسان. ولعل الصبر في المقام هو الصوم لصبر الصائم عن الأكل والشرب طاعة لله، وفي قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾^(١). ورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام ان الصبر الصيام، واذا نزلت بالرجل النازلة الشديدة، فليصم فان الله تعالى يقول: ﴿استعينوا بالصبر والصلاة﴾، يعني الصيام.

ان مساءلة منكر ونكير صفحة وجزء من موضوع اعم الا وهو عذاب القبر في الليلة الاولى، وصحيح انها ركن اساسي من احوال تلك الليلة ولكن البلاء والفتنة لا تنحصر بسؤالهما وما يجري عند حضورهما الميت. لذا يحكم العقل بالتدبر والاحتراز والاستعداد لمصائب تلك الليلة، فان نوع استقبال الملكين للضيف في تلك الليلة بيده مدة حياته الدنيا، ليس بينه وبين احراز كرمهما ولطفهما الا التقوى والتوبة فاما اقربهما اليوم.

القبس

(١) سورة البقرة ١٥٣.

يقال اقبرت الميت اي امرت ان يدفن وهيأت له حفرة في الارض يوضع فيها ويوارى بترابها اي جعلت له قبرا وجمعه قبور وموضع اجتماعها تسمى مقبرة وفي الحديث انه نهى عن الصلاة في المقبرة وفي التعليل قيل لاختلاط ترابها بصديد الموتى ونجاستهم.

ومادة (قبر) وردت في القرآن في ثمانية مواضع كل منها مدرسة فيها حكمة وموعظة وعبر متشعبة منها قوله تعالى: ﴿من نظفة خلقه فقدره. ثم السبيل يسره. ثم اماته فأقبره﴾^(١). وبالجمع بين هذه الاية والاية الكريمة من سورة المائدة ﴿فبعث الله غرابا يبحث في الارض...﴾ بالاضافة الى السنة النبوية القولية والفعلية والتقريبية يظهر ان تشريع القبر مدفناً للانسان سنة الهية في الارض وهي عنوان اكرام للذي بعث الله فيه من روحه وتمييز له عن جميع الحيوانات في موته وبعد وفاته كما اكرمه الله بالعقل والنطق وغير ذلك في حياته.

وروي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال: اول عدل الاخرة القبور لايعرف وضيع من شريف. فكل الناس يدخل القبر ويحيطه التراب من جميع جوانبه لاختلاف بينهم الا بالاعمال الصالحة في الدنيا. فالعمل هو الذي يبقى ملازماً للانسان في قبره لايفارقه وان تركه اهله وتلك سنة الله في الخلق ومصداق للقول

(١) سورة عبس ١٩-٢١.

بان الدنيا دار ابتلاء وامتحان . روي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال : اذا وضع الميت في قبره مثل له شخص فقال له : يا هذا كُما ثلاثة، كان رزقك فانقطع بانقطاع اجلك، وكان اهلك فحلفوك وانصرفوا عنك، وكنت عملك فبقيت معك، اما اني كنت اهون الثلاثة عليك.

لقد أظهر الاسلام الوظيفة الحقيقية للقبر في الحياة الدنيا بصورة قهقرية ولكنها أيجابية المضموض وذلك بالاستعداد له بزاد التقوى والعمل الصالح، نحن لاننكر ان الحضارات والملل التي سبقت الاسلام ذكرت الموت، ولكنها ذكرته بمفهومه المجرد الذي تدركه العقول بالحس والوجدان، فمثلاً لما مات الاسكندر قال أحد الحكماء : اصبح أسير الاسراء اسيراً، وقاهر الملوك مقهوراً، كان بالامس مالكاً فصار هالكا^(١)، وكان الامر انتهى بالموت، بينما يبين الاسلام بالادلة الاربعة ان الموت انتقل الى عالم آخر يرتبط بالحياة الدنيا ونوع الأعمال الشخصية فيها وبذلك أعطى الاسلام للعقل وظيفة أكبر وأكثر أهمية في الحياة. فقول هذا الحكيم الذي يدل تناقله وروايته على أهمية يعتبر من أبسط المفاهيم التي يحيط بها كل مسلم بغض النظر عن مذهبه وثقافته.

ان لكل انسان قبراً ينتظره ويفرح بقدمه ان كان من اهل الصالحات ويشاق الى ساعة اللقاء وان كان من اهل السيئات

(١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢/٤١٤ .

فانه يكره ايوائه، وكم من انسان يمشي على قبره ومكان دفنه وهو لايعلم ذلك او انه لم يستعد له، وعن بشير الدهان عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: ان للقبر كلاماً في كل يوم يقول: انا بيت الغربية، انا بيت الوحشة، انا بيت الدود، انا القبر انا روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار.

وما ينبغي للمؤمن فعله المبادرة الى تهيئة قبره ومكان مدفنه وان كان سليماً معافى وكان بعض السلف من اهل الصلاح يدخل بين الحين والآخر الى مدفنه ويقرأ فيه القرآن تأديباً للنفس ومنعها من الاندفاع في مباهج الدنيا واسباب اللهو والارتداع والانزجار باستحضار عالم القبر الذي ندون منه ويدون منا من غير توقف. وللعمل باطلاقات قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾. ويستحب التبرع بالارض لدفن المؤمن وقد روي عن عقبة بن علقمة انه قال: اشترى امير المؤمنين عليه السلام ما بين الخورنق الى الحيرة الى الكوفة واخر ما بين النجف الى الحيرة الى الكوفة من الدهاقين باربعين الف درهم واشهد على شرائه فقلت له: يا امير المؤمنين تشترى بهذا المال وليس يثبت خطأ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (كوفان يرد اولها على اخرها يحشر من ظهرها سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فاشتهيت ان يحشروا في ملكي)^(١). ويستحب

(١) الوسائل ١/١٥٩، طبعة حجرية.

القيام بحفر قبر المؤمن لما في ذلك من الثواب والاتعاظ وعن الامام محمد الباقر عليه السلام قال: من حفر لميت قبراً كان كمن بوأه بيتاً موافقاً الى يوم القيامة^(١).

ومسألة القبر مذكورة في الفلسفة اليونانية وغيرها مما سبق الاسلام ولكن بنمو يختلف في ماهيته عما هو في الاسلام، فقد روي ان الاسكندر مر بمدينة قد ملكها سبعة املاك من بيت واحد وبإد، فسأل هل بقي من نسلهم أحد، قالوا بقي واحد وهو يلزم المقابر، فدعا به فسأله لما تلزم المقابر. قال: أردت ان أميز عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدتها سواء. قال: هل لك أن تلزمني حتى انيلك بغيتك. قال: لو علمت انك تقدر على ذلك للزمتك، قال: وما بغيتك. قال: حياة لاموت معها، قال: لن أقدر على ذلك. قال: فدعني أطلبه ممن يقدر عليه. لقد أعطى الاسلام مفهوماً مشرقاً لقبر المؤمن، وان القبر امتداد للحياة الدنيا وثمرة لنوع العمل فيها وكما يستطيع الانسان ان يبني له داراً في الحياة الدنيا بالجهد البدني والانفاق المالي كذلك يستطيع ان يحدد معالم قبره وسعته بالتقوى وإيتان الصالحات.

ضغطة القبر

(١) الصدر السابق ١/١٥٨.

قد يكون ضيق القبر ووحشته وانعدام الاستطاعة فيه على الحركة واردة الفعل وراء اجتناب أكثر الناس التفكير بهذا الامر الحتمي. فتراهم يهربون من التأمل فيه، والنظر في تفاصيله ولكن الذين نظروا الى الدنيا بهيئتها الحقيقية باعتبارها دار ممر، وان الانسان فيها مسافر الى عالم اخر، بل انه مكره على السفر والانتقال منها، حرصوا على التدبر في احوالها وجعلوا من ايام اعمارهم فيها مزرعة للاخرة. وانصتوا الى الايات القرآنية التي تتناول عالم ما بعد الموت وما تضمنه من مواعظ وعبر وكذلك استمعوا الى الاحاديث الشريفة في هذا الباب ذي الاهمية في عالم التكوين.

وما جاء منها في شؤون هذا العالم وحواله ومراحله الاولى هو (ضغطة القبر) التي يتعرض لها الميت في بدنه عند ادخاله في القبر والاقرار بها ضروري للروايات الواردة في ذلك عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. عن علي بن الحسين الهمداني عن جعفر بن احمد عن علي بن برزخ الخياط عن عمر بن اليسع عن عبد الله بن اليسع عن ابن سنان^(١) عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام قال: اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل له: ان سعد بن معاذ^(٢) قد مات، فقام رسول الله

(١) هو عبد الله بن سنان.

(٢) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت بن مالك بن الاوس الانصاري الأشهلي سيد الاوس. وهو ممن شهد بدرًا مع

صلى الله عليه وآله وسلم وقام اصحابه معه، فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب فلما ان حنط وكفن حمل على سريره تبعه رسول الله بلا حذاء ولا رداء، ثم كان يأخذ يمينه السرير مرة ويسرة السرير مرة حتى انتهى به الى القبر، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى لحده وسوى اللين عليه، وجعل يقول: ناولوني حجراً، ناولوني تراباً رطباً، يسد به ما بين النين، فلما ان فرغ وحشا التراب عليه وسوى قبره قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (اني لاعلم انه سيلى ويصل البلى اليه، ولكن الله يحب عبداً اذا عمل عملاً احكمه)، فلما ان سوي التربة عليه قالت ام سعد: ياسعد هنيئاً لك الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يأم سعد مه، لا تجزمي على ربك فان سعداً قد اصابته ضمة، قال: فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجع الناس فقالوا له: يارسول الله لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على احد . انك تبعت جنازته بلارداء ولا حذاء . فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (ان الملائكة كانت بلارداء ولا حذاء فتأسيت بها)، قالوا: وكنت تأخذ يمينه السرير مرة ويسرة السرير مرة، قال: (كانت يدي في يد جبرئيل آخذ حيث يأخذ)، قالوا: امرت بغسله وصليت على جنازته ولحدته في قبره ثم قلت: ان سعداً قد اصابته ضمة،

النبى صلى الله عليه وآله وسلم . واصابه يوم الخندق سهم وبقي بعده شهراً حتى حكم في اليهود من بني قريظة ثم مات .

قال: فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (نعم انه كان في خلقه مع اهله سوء)^(١) ولكن الرواية ضعيفة لوجود بعض المجاهيل في سندها . هذا وقد ورد عن بشير النبال قال: سمعت ابا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبر سعد فمسحه بيده واختلج بين كفيه، فقيل له: يارسول الله رأيناك خاطبت واختلج بين كفيك وقلت: سعد يفعل به هذا ! فقال: انه ليس من مؤمن الا وله ضمة^(٢) .

انها تذكرة بما ينتظر المؤمن كأنسان ساعة عودته الى الارض التي خلق منها لتكون هذه التذكرة درساً وموعظة يدرك الانسان بها انه فان ومغادر هذه الدنيا بعجز مطلق وغياب الناصر وانعدام الاسباب والتسليم بانفراد لضغطة الارض التي طالما مشي عليها وسخرها لخدمته.

ومثلما يكون الموت وكيفية قبض الروح بالنسبة للمؤمن التي تصف بالراحة والسكينة والبشارة وبالنسبة للكافر وجهاً من وجوه العذاب كذلك ضغطة القبر في نتائجها حيث تكون للمؤمن باباً من ابواب المغفرة. عن السكوني عن الامام جعفر الصادق عليه السلام عن ابائه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان منه من تضييع

(١) بحار الأنوار ٦/٢٢٠ .

(٢) ن. م. ٦/٢٢١ .

النعمة^(١) . ومن اوجه تضييع النعم عدم استثمارها في طاعة الله والتقصير في مستلزمات الشكر واداء الحقوق وتركها او ان لا يعبأ بها الانسان ولا يعرف اهميتها حتى يفقدها . والحديث تأديب مبارك وارشاد للنجاة من ضغطة القبر او تخفيفها وذلك بالحرص على عدم تضييع النعم . بل وحتى ضغطة القبر التي تعني الشدة والمشقة والعصر تكون للمؤمن (ضمة) والضم الجمع وضم الشيء الى الشيء والاصطلاح لا يخلو من مضامين الرفق والتخفيف كما في حديث سعد المتقدم وماورد فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، اذ قال: انه ليس من مؤمن الا وله ضمة ليس هذا فقط بل قام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بارشاد المسلمين الى اتخاذ الدعاء سبيلاً الى النجاة من ضغطة القبر سواء كان ذلك بدعاء المؤمن لنفسه في حياته او دعاء المشيعين وذويه له . قال ابو بصير: سمعت ابا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: ان رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما ماتت قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبرها . فرفع يده تلقاء السماء ودمعت عيناه فقالوا له: يا رسول الله انا قد رأيناك رفعت راسك الى السماء ودمعت عيناك، فقال: اني سألت ربي ان يهب لي رقية من ضمة القبر^(٢)، انها دعوة للمؤمنين للنجاة من ضغطة القبر بالدعاء لتأثيره الفعال في التركيبة

(١) امالي الصدوق ٣٢٢ .

(٢) مجاز الانوار ٦/٢١٧ .

الطبيعية للأحداث ومن غير تعارض مع قواعد النظام الكوني لدخوله بفضلته تعالى في الأسباب.

وفي وفاة فاطمة بنت اسد ام الامام علي عليه السلام يبدو واضحاً اهتمام النبي في موضوع ضغطة القبر وحرصه على نجاتها منه براً بها ووفاء لما اسهمت فيه في بناء قواعد الاسلام بتعاهدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنين الاولى من عمره الشريف وقد اطرى عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (لم نلق بعد ابي طالب أبر بي منها)^(١).

هذا وقد ذكر انه لما ماتت فاطمة بنت اسد ام امير المؤمنين عليه السلام اقبل باكياً فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما يبكيك؟ لا ابكي الله عينك. قال: توفت والدتي يارسول الله، قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: بل والدتي يا علي فلقد كانت تجوع اولادها وتشبعني، وتشعث اولادها وتدهني، والله لقد كان في دار ابي طالب نخلة فكانت تسابق اليها من الغداة لتلتقط، ثم تجنيه فاذا خرجوا بنوعمي تناولني ذلك، ثم نهض صلى الله عليه وآله وسلم فاخذ في جهازها وكفنها بقميصه. وكان في حال تشييع جنازتها يرفع قدماً ويتأني في رفع الاخر، وهو حافي القدم، فلما صلى عليها كبر سبعين تكبيرة، ثم لحدها في قبرها بيده الكريمة بعد ان نام في قبرها.

(١) ابن حجر العسقلاني / الاصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٣٨٠.

ولقنها الشهادة، فلما أهيل عليها التراب و اراد الناس الانصراف، جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لها: ابنك، ابنك، لاجعفر ولاعقيل. ابنك: علي بن ابي طالب. ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما فعله. اجاب: اما التاني في وضع اقدامي ورفعها في حال التشيع للجنائز فلكثره ازدحام الملائكة، واما تكبيرتي سبعين تكبيرة فانها صلى عليها سبعون صفاً من الملائكة واما نومي في لحدها فاني ذكرت في حال حياتها ضغطة القبر. فقالت: واضعفاء، فممت في لحدها لاجل ذلك حتى كفيتها ذلك، واما تكفيني لها بقميصي فاني ذكرت لها في حياتها القيامة وحشر الناس عراة فقالت: واسوأناه، فكفنتها به، لتقوم يوم القيامة مستورة واما قولي لها ابنك، ابنك، لاجعفر ولاعقيل فانها لما نزل عليها الملكان وسألها عن ربها فقالت: الله ربي، وقالوا: من نبيك؟ قالت: محمد نبيي. فقالوا: من وليك وامامك... الحديث.

ان بركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتصلت منذ ذلك الحين لتكون مؤثرة في رفع ضغطة القبر او تخفيفها عن المؤمنين فمع انها في المؤمن ايضاً تجري واقعاً ولكنها ربما تكون بطابع اللطف وتكون تطهيراً له مما لحقه من ذنوب الدنيا خاصة وانها تلازم السؤال من قبل الملائكة لما روي عن ابي بصير عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: يسأل وهو

مضغوط. ولكن هذا لا يعني ان من لا يضغط لا يسأل فقد يتعرض بعض الناس بل اكثرهم الى ضغطة القبر والسؤال معاً. وقد ينجو بعض الناس من احدهما او كليهما.

وهناك باب من ابواب رحمته تعالى فتحه للمؤمنين للنجاة من ضغطة القبر وهو حدوث الوفاة في ساعة مباركة. فبالاسناد عن ابان بن تغلب عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: من مات ما بين زوال الشمس يوم الخميس الى زوال الشمس من يوم الجمعة من المؤمنين أعاده الله من ضغطة القبر. وفي ذلك بشارة وحسن مواساة لمن يكون اجله في ليلة الجمعة او صدر نهارها.

الجريدتان في القبر

الجريدتان مثنى جريدة وهي سعفة النخلة فعيلة بمعنى مفعولة، سميت بذلك لتجريد خوصها ونزعه عنها ومنه الخبر كتب القرآن في جرايد، ورد عن الامام الباقر عليه السلام الحث على وضع جريدتين مع الميت في قبره وبين علة ذلك ومنافعه. بالاسناد عن زرارة قال: قلت لابي جعفر الباقر عليه السلام: رأيت! الميت اذا مات لم تجعل معه الجريدة؟ قال: يتجافى عنه العذاب والحساب مادام العود رطباً، قال: والعذاب كله في يوم واحد، في ساعة واحدة، قدر ما يدخل القبر ويرجع القوم، وانما جعلت السعفتان لذلك فلا يصيبه عذاب ولا حساب بعد جفوفهما

ان شاء الله . ويلاحظ في النص اهمية الرطوبة في العود وبذلك
ايضاً قال الامام جعفر الصادق عليه السلام كما في حديث فضيل
وعبد الرحمن عنه عليه السلام: انه يتجافى عنه مادامت رطوبة .
وقد ورد ايضاً عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام انه لا يجوز
اليابس وذلك في اجابة له على من سأل عن وضع السعفة اليابسة
مع الميت هذا وقد ورد (عن يحيى بن عبادة المكي انه قال:
سمعت سفيان الثوري يسأل ابا عبد الله الصادق عليه السلام عن
التخضير فقال: ان رجلاً من الانصار هلك فأوذن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بموته فقال لمن يليه من قرابته خضروا
صاحبكم فما اقل المخضرين يوم القيامة قال: وما التخضير؟ .
قال: جريدة خضراء توضع من اصل البدن الى اصل الترقوة) .
ولذلك جاء الاجماع بان الجريدة اذا كانت يابسة لا تكفي بل
يستحب ان يراعى في اختيارها بطيء يبسها وطول مدة الخضرة
والرطوبة فيها وذلك باختيار الأكثر غلظاً منها . ومن ناحية الطول
فيكون ذراعاً ويجزي ان يكون طول الجريدة شبراً او اقل او أكثر
من ذلك كله . للاطلاقات وغياب القرائن الخارجية التي تقيدها في
المندوبات وامكان التسامح في المقام.

اما طريقة وضعها مع الميت فهي ان تشطر طولاً الى
شطرين يوضع احدهما في الجانب الايمن للميت من الترقوة الى
حيث تصل مع الحرص على جعلها ملاصقة لبدنه . اما الاخر

فيوضع في جانبه الايسر من عند الترقوة ايضاً ما بين القميص والازار. وهناك كيفية اخرى لوضعها وذلك بوضع احد الشطرين منها تحت ابطه الايمن. اما الاخرى بين رجليه بحيث يكون منتصفه بين الركبتين واذا كانت واحدة غير مشطورة فتوضع في جانبه الايمن وهناك كيفيات اخرى لوضعها جاءت بها الاخبار ومذكورة في المفصلات الفقهية. ولكن الذي يظهر من الروايات والنصوص هو تحقق الغاية بمطلق وضع الجريدة مع الميت في قبره وهو المناسب لروح التخفيف وسعة رحمته تعالى ليس هذا فقط بل انه يمكن تدارك نسيان وضع الجريدة مع الميت وذلك بوضعها على قبره بعد الدفن لما ورد عن (محمد بن علي بن الحسين قال: مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبر يعذب صاحبه فدعا بجريدة فشقها نصفين فجعل واحدة عند رأسه والاخرى عند رجليه وانه قيل له لم وضعتهما فقال: انه يخفف عنه العذاب ماكاتا خضراوين) هذا وقد جاء ايضاً في صحيح البخاري ما يؤكد اهمية الجريدة في تخفيف عذاب القبر عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر بقبرين يعذبان، فقال: انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، اما احدهما فكان لا يستتر من البول، واما الاخر فكان يمشي بالنميمة، ثم اخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين ثم غرز في كل قبر واحدة فقالوا: يا رسول الله لم صنعت هذا. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لعله يخفف عنهما ما لم

بييساً) واذا تعذر الحصول على جريدة فيؤخذ من الصدر والا
فمن عود الخلاف -وهو الصفصاف- او الرمان وان عجز
الانسان عن اي منها او كان ذلك امراً صعباً فيجزي كل عود
رطب ومن الافضل كتابة اسم الميت واسم ابيه على الجريدة وانه
يشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم مع ذكر اسماء الائمة كسبيل الى التبرك والتضرع الى الله
ورجاء الرحمة والشفاعة.

ولبيان الاقرار بالشهادتين والتمسك بالامامة .

عذاب القبر

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ان القبر اول منازل
الآخرة، فان نجا منه فما بعده ايسر منه، وان لم ينج منه فما بعده
ليس اقل منه) .

وهذا القول موسوعة مختصرة وافية وكذلك جوامع الكلم
التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبر بها الامة
الاسلامية واجيالها المتعاقبة هادياً الى سبل الرشاد، ومنذراً من
عذاب القبر، وباعثاً على اجتنابه ودرئته في موعظة تظهر ان
عناصر النجاة من عذاب القبر تنفع في المراحل اللاحقة ايضاً وان
الاستعداد لعالم القبر، يمكن اعتباره رصيماً في الآخرة، وباباً من
ابواب السلامة يوم الفزع الأكبر وان الانسان لا يحتاج الا الى

الاهتمام بسبل النجاة من عذاب القبر واعداد المستلزمات لذلك .
ان عذاب القبر جزء من الفلسفة الدينية القائمة على الثواب
والعقاب وان الله عز وجل لم يخلق الناس عبثاً ، وان الاخرة دار
الحساب ، حيث يكون القبر اول منازلها . واخرج الترمذي عن
علي عليه السلام انه قال: مازلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت
سورة الهاكم التكاثر^(١) وعلى فرض صحة السند فان عذاب
القبر وردت الاشارة اليه في مكة لان سورة التكاثر مكية
ولا يستبعد ذلك لان ايام الدعوة في مكة كانت تتضمن الانذار
والتخويف والوعيد .

وفي تفسير علي بن ابراهيم عن ابيه عن علي بن مهزيار
عن عمرو بن عثمان عن المفضل بن صالح ، عن جابر ، عن
ابراهيم بن العلاء عن سويد بن غفلة عن امير المؤمنين عليه
السلام: ان ابن آدم اذا كان في اخريوم من الدنيا واول يوم من
الآخرة مثل له ماله وولده وعمله ، فيلتفت الى ماله فيقول: والله
اني كنت عليك لحريصاً شحيحاً ، فما لي عندك؟ فيقول: خذ مني
كفنتك ، ثم يلتفت الى ولده فيقول: والله اني كنت لكم محبباً ، واني
كنت عليكم لمحامياً ، فماذا لي عندكم؟ فيقولون؟ نوذ بك الى
حفرتك ونواريك فيها ! ثم يلتفت الى عمله فيقول: والله اني كنت
فيك لزاهداً ، وانك كنت عليّ لثقيلاً ، فماذا عندك؟ فيقول: انا

(١) الاتقان في علوم القرآن ١/٣٧ .

قرينك في قبرك، ويوم حشرك حتى أُعرض انا وانت على ربك،
 فان كان لله ولياً اتاه اطيب الناس ريحاً، واحسنهم منظراً،
 وازينهم رياشاً، فيقول: ابشر بروح من الله وريحان وجنة نعيم، قد
 قدمت خير مقدم، فيقول: من انت؟ فيقول: انا عمك الصالح
 ارتحل من الدنيا الى الجنة، وانه ليعرف غاسله، ويناشد حامله ان
 يعجله، فاذا ادخل قبره اتاه ملكان وهما قانا القبر، يجران
 اشعارهما، ويحشان الارض بانيا بهما، واصواتهما كالرعد
 القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف، فيقولان له: من ربك؟
 ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيقول: الله ربي، ومحمد نبيي، والاسلام
 ديني، ثم يقولان ثبك الله فيما تحب وترضى، وهو قول الله:
 ﴿يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية.
 فيفسحان له في قبره مدّ بصره، ويفتحان له باباً الى الجنة، ويقولان
 له: ثم قرير العين نوم الشاب الناعم وهو قوله: (اصحاب الجنة
 يومئذ خير مستقراً واحسن مقيلاً). واذا كان لربه عدواً فانه
 يأتيه اقبح خلق الله رياشاً، واته ريحاً، فيقول له: ابشر بنزل من
 حميم، وتصلية جحيم، وانه ليعرف غاسله ويناشد حامله ان
 يجسه فاذا ادخل قبره اتياه ممتحنا القبر فالقيا عنه اكفانه، ثم قالوا
 له: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيقول: لا ادري، فيقولان
 له: مادريت ولاهديت، فيضربانه بمرزبة ضربة ما خلق الله دابة الا

وتذعر لها ما خلا الثقلين^(١)، ثم يفتحان له باباً الى النار، ثم يقولان له: نمِ بِشَرِّ حَالٍ، فهو من الضيق مثل ما فيه القنا من النج حتى ان دماغه يخرج من بين ظفره ولحمه، ويسلط عليه حيات الارض وعقاربها وهوامها فتتهشه حتى يبعثه الله من قبره، وانه ليتمنى قيام الساعة مما هو فيه من الشر وروي الحديث في امالي الشيخ عن عبد الله بن عباس ايضاً.

ويظهر من الروايات الواردة في المقام ان عذاب القبر ذو شدة وبطش عظيم ولولا تلك الاخبار لما تمكنا من معرفة اجمالية لهول ما فيه من اليم العقاب ذلك انه يفوق مستوى ادراك العقول وفق مسار السلوك في الحياة الدنيا فقد روي عن الامام الباقر عليه السلام. ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: اني كنت انظر الى الابل والغنم وانا ارعاها -وليس من نبي الا وقد رعى الغنم- وكنت انظر اليها قبل النبوة وهي متمكنة في المكينة ما حولها شيء يهيجها حتى تذعر فتطير، فأقول: ما هذا؟ وأعجب، حتى حدثني جبرئيل عليه السلام ان الكافر يضرب ضربةً ما خلق الله شيئاً الا سمعها ويذعر لها الا الثقلين، فقلنا: ذلك لضربة الكافر فنعود بالله من عذاب القبر.

وهل ينحصر عذاب القبر بالكفار واصحاب الكبائر ام انه يشمل غيرهم ومن هو دونهم بالمعصية والذنب والحقيقة ان

(١) الثقلان: الجن والأنس وفي التنزيل "سنفرغ لكم ايها الثقلان". وقيل سمياً بذلك لما لهما من التمييز وهو نقل ومرجح.

عذاب القبر يطال غير الكفار ايضاً وان عامة الناس معرضون
لاحوال هذا العذاب واحتمال نزوله بساحتهم عند ورودهم على
هذا العالم الملىء باحوال الحساب وشدته حيث تنكشف
صحائف اعمال بني آدم. بالاسناد عن صفوان بن مهران عن
الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: أقعد رجل من الاخيار في
قبره، ف قيل له: انا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله، فقال،
لاطيقها، فلم يزالوا به حتى اتهموا الى جلده واحدة فقالوا: ليس
منها بدّ قال: فيما تجلدونيتها؟ قالوا: نجلدك لانك صليت يوماً
بغير وضوء ومررت على ضعيف فلم تنصره، قال: فجلدوه جلدة
من عذاب الله عز وجل فامتلاً قبره ناراً.

وفي بيان اسباب عذاب القبر والارشاد الى اجتناب
شدته روي الصدوق عن علي بن حاتم عن احمد بن محمد
الهمداني عن المنذر بن محمد عن الحسين بن محمد عن علي بن
القاسم عن ابي خالد عن زيد بن علي عن ابيه عن جده عن
علي عليه السلام قال: عذاب القبر يكون من النميمة، والبول،
وعزب الرجل عن اهله^(١).

الامل

(١) يقال عزب الرجل يعزب من باب قتل عزبة كحرفة اذا لم يكن له أهل فهو عزب -بفتحين- وعزب
الرجل في المقام ابتعد عن اهله واعتزل زوجته وغاب عنها غياباً طويلاً.

قد يفكر الانسان في كيفية النجاة من عذاب القبر ويبحث عن سبل التخلص منه ليستعد له في الحياة الدنيا باعتبارها دار العمل الذي هو في احد وجهيه علة ذلك العذاب وسببه فيتجه صوب الشريعة عسى ان يجد فيها وقاية وعلاجاً لهذا العذاب مثلما دلت عليه ونبهت المسلمين الى لقائه عند مغادرة الدنيا، انه تسخير للملكة العقل والتمييز الذي فضل الله به الانسان على غيره من الحيوانات، وباعتباره يكون الثواب والعقاب، وتوظيفه في اجتناب الهوى والابتعاد عن المعصية تكون السلامة لذا ورد في التنزيل ﴿لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير﴾ (وفي الحديث عن انس بن مالك قال: اثنى قوم على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كيف عقل الرجل؟ قالوا: يارسول الله نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسالنا عن عقله؟. فقال: ان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر، وانما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم)^(١).

انه سلاح وقائي واستعداد كريم واحتراس سابق وادخار مبارك، وفيه وجوه وطرق متشعبة منها:

(١) الطبرسي / مجمع البيان لعلوم القرآن ٤٣٨/٢، طبعة حجرية.

١- تظهر الشريعة النفع العظيم لصالح الأعمال عند ولوج عالم القبر حيث يدخل معه عمله وتحضر له صحائف اعماله في حساب أولي واستعراض اجمالي لنوع اعماله وبيان اعلامي لسيرته في الدنيا واخبار ملكوتي عما ينتظره من الجزاء يوم القيامة.

٢- اشتغال الانسان بالدعاء في حياته وسؤال النجاة من عذاب القبر. بالاضافة الى قيام مشيعيه عند موته بالدعاء له وتلقينه ووضع الجريدتين معه، كما تقدم لما في ذلك من تجافي العذاب عنه في القبر.

٣- قراءة سورة الملك والمواظبة على تلاوتها وحفظها عن ظهر قلب فقد روي بالاسناد عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ان رجلاً ممن كان قبلكم مات وليس معه شيء من كتاب الله الا تبارك الذي بيده الملك) فلما وضع في حفرته اتاه الملك فثارت السورة في وجهه فقال لها انك من كتاب الله وانا اكره شقاقك واني لا املك لك ولا له ولا لنفسي ضراً ولا نفعاً فان اردت هذا به فانطلقني الى الرب فاشفعي له فانطلقت الى الرب فتقول يارب ان فلاناً عمد الى ما بين كتابك فتعلمني وتلامي أفسحرقه انت بالنار ومعذبه وانا في جوفه فان كنت فاعلاً به ذلك فامحني من كتابك فيقول: اذهبي فقد وهبته لك وشفعتك فيه فتجيء سورة الملك فيخرج كاسف البال لم يحل منه شيء فتجيء فتضعها على فيه فتقول مرحباً بهذا

النغم فربما قامتا بي وتؤنسه في قبره مخافة الوحشة عليه فلما حدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا الحديث لم يبق صغير ولا كبير ولا حر ولا عبد الا تعلمها وسماها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنجية.

وورد ايضاً عن انس يرفعه: لقد رأيت رجلاً مات كان كثير الذنوب مسرفاً على نفسه فكلمنا توجه اليه العذاب في قبره من قبل رجله او من قبل رأسه اقبلت السورة التي فيها الطير تجادل عنه العذاب انه كان يحافظ عليّ وقد وعدني ربي انه من واظب علي ان لا يعذبه فانصرف عنه العذاب بها كما ورد عن ابن عباس انه قال: ضرب بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا بانسان يقرأ سور الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر.

وصحيح ان هناك من وضع بعض الاحاديث في فضائل سور القرآن مثل ابي عصمة الذي قيل له: من اين لك عن عكرمة عن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة؟ فقال: اني رأيت الناس قد اعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهِ ابي حنيفة ومغازي محمد بن اسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة ومارواه الحاكم ان رجلاً من الزهاد اتدب في وضع

احاديث في فضل القرآن وسوره فقيل له: لم فعلت هذا؟
فقال: رأيت الناس زهدوا في القرآن فأحببت ان ارغبهم فيه
فقيل له: فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من كذب
عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده في النار. فقال: انا ما كذبت عليه
وانما كذبت له^(١). الا ان اكثرها طرح لضعف سندها
وانكشاف حقيقتها بالاضافة الى ان الاحاديث في فضل سورة
الملك في المقام كثيرة ومن طرق متعددة ومشارب شتى ومعتبرة
سنداً مع جوازها عقلاً، انه باب مبارك فتحه الله للمؤمنين ثم
تفضل مرة اخرى فجعله قريباً منهم، ومع ذلك ترى اكثر الناس
لا يسهلون منه ولا يلتفتون الى ما فيه من النفع الا بعد مغادرة دار
العمل وحيث لا ينفع الندم. انه سبيل كريم لا يعرفه الا
المسلمون، ولا يسلكه الا اهل الايمان والمعرفة وحملة القرآن انه
كنز لا ينفد في تناول الناس جميعاً وفي كل زمان، بصره قوم.
وعميت عند ابصار آخرين، انتفع منه شطر من الناس، وحرّم
آخرون انفسهم منه، وبين الذين بصروا به والذين انتفعوا منه
عموم وخصوص مطلق، فليس كل من ابصر وعرف الحاجة الى
الوقاية من عذاب القبر نجاً منه، انما يحتاج الانسان الى العمل
ملازماً للعلم وثمره له، ودليلاً خارجياً على الاستجابة والطاعة
وهو الذي يدخل مع الانسان الى قبره، ومن هنا يدرك المرء

(١) الغدير ٢٧٥/٥ عن التذكار للقرطبي ١٥٥-١٥٦.

جانباً مما في الفرائض من نعمة وبركة لما فيها من الحرز والوقاية في عالم القبر، سواء الفرائض البدنية كالصلاة والصوم او المالية كالزكاة والخمس، او الجامعة لهما كالحج.

٤-التوقي من اسباب عذاب القبر التي وردت في الروايات، والتنزه عما يبعد الانسان عن تمام الطهارة وماورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام من قول: ان جل عذاب القبر في البول. اشارة وتنبية الى ضرورة الحرص على عدم اصابة البول الجسد او اللباس واهمية التقيد باحكام التخلي. كذلك روي عن ابن عباس انه قال: عذاب القبر ثلاثة اثلاث. ثلث للغيبة وثلث للنميمة وثلث للبول.

٥-اقتان الفرائض وادائها على الوجه الصحيح وبصورة تامة. والحفاظ على أركانها واجزائها لتكون سلاحاً وواقية وعوناً في عالم البرزخ ومابعد الموت. وبالاسناد عن سعيد بن جناح قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام في منزله بالمدينة فقال مبتدئاً من أتم ركوعه وسجوده لم تدخله وحشة في القبر^(١).

٦-الاستعداد لسؤال منكر ونكير وتهيئة الاجابة باقرار الجنان بالشهادتين وجعل اللسان يعتاد على النطق بهما والجوارح مستجيبة ومرددة لما ينطق بهما. عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ان لله تعالى ملكين يقال لهما: ناكر ونكير ينزلان على

(١) الوسائل ١/٣٨٥، طبعة حجرية.

الميت فيسألانه عن ربه ونبيه ودينه وامامه، فان اجاب بالحق سلموه الى ملائكة النعيم، وان ارتج عليه^(١) سلموه الى ملائكة العذاب.

٧- تعلم وقراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) لما فيهل من الحرز والامان من سطوة الملائكة الذين يتولون أمر النار يوم القيامة، بالاضافة الى انها سبيل لنجاة الآباء من عذاب القبر فقد روي ان عيسى ابن مريم مرّ على قبر، فرأى ملائكة العذاب يعذبون ميتاً، فلما انصرف في حاجته، مرّ على القبر فرأى ملائكة الرحمة معها أطباق من نور فتعجب من ذلك، فصلى ودعا الله تعالى فاوحى الله تعالى اليه: يا عيسى كان هذا العبد عاصياً ومذمات كان محبوباً في عذابي، وكان ترك امرأة حبلى فولدت ولداً وربته حتى كبر، فسلمته الى الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت من عبدي أعذبه بناري في بطن الارض وولده يذكر أسمي على وجه الارض^(٢).

وقد ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حديث فيه بيان وارشاد لابواب النجاة من عذاب القبر وهداية للذين يبحثون عن سبل النجاة في الدنيا والاخرة. وقد جاءت مضامين الحديث بصورة رؤيا رآها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ان الرؤيا سلاح بيد الانبياء باعتبارها جزء من كوز

(١) ارتج عليه: اضطرب وانتقل عليه الكلام.

(٢) الفجر الرازي / تفسير مقاتح الغيب ١/١٧٢.

الغيب واحد مفاتحه ومن الانبياء من ينتظر الوحي اثناء نومه لان قلبه يكون عنده مستعداً لتلقي الاوامر والنواهي . والرؤيا جزء من ست واربعين جزءاً من اجزاء النبوة . وعن الامام الباقر عليه السلام قال: الانبياء على خمسة انواع منهم من يسمع الصوت مثل صوت السلسلة فيعلم ما عني به ومنهم من ينبأ في منامه مثل يوسف ومنهم من يعاين ومنهم من ينكث في قلبه ويوقر في اذنه واول ما بدء من يوسف الرؤيا الصالحة وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مارأى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح.

فبالاسناد عن عبد الرحمن بن سمرة^(١) قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن في صفة بالمدينة فقام علينا فقال: اني رأيت البارحة عجباً،

رأيت رجلاً من امي اتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه،

ورأيت رجلاً من امي قد احتوشته الشياطين فجاء ذكر الله فطير الشياطين عنه،

ورأيت رجلاً من امي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من ايديهم،

(١) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس العيشمي أسلم يوم الفتح وشهد غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم شهد فتوح العراق . ومات سنة خمسين للهجرة .

ورأيت رجلاً من امّتي يلهث عطشاً كلما دنا من حوض
منع وطرد فجاءه صيام شهر رمضان فاسقاه وارواه،

ورأيت رجلاً من امّتي ورأيت النبيّين جلوساً حلقةً حلقةً
كلما دنا الى حلقة طرد ومنع فجاءه غسله من الجنابة فاخذ بيده
فاقعده الى جنبي،

ورأيت رجلاً من امّتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة
وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة وهو متحير
منه فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وادخلاه في
النور،

ورأيت رجلاً من امّتي يتقي وهج النار وشررها، فجاءته
صدقه فصارت ستراً بينه وبين النار وظلاً على رأسه،

ورأيت رجلاً من امّتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته
صلته لرحمه فقالت يا معشر المؤمنين انه كان وصولاً لرحمه فكلّمته
المؤمنون وصافحوه وصافحهم،

ورأيت رجلاً من امّتي قد احتوشته الزبانية فجاءه امره
بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من ايديهم وادخله في
ملائكة الرحمة،

ورأيت رجلاً من امّتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله
حجاب فجاءه حسن خلقه فاخذ بيده فادخله على الله عز
وجل،

ورأيت رجلاً من امتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله
فجاءه وقوفه من الله عز وجل فاخذ صحيفته فوضعها في يمينه،
ورأيت رجلاً من امتي خف ميزانه فجاءه افراخه فثقلوا
ميزانه،

ورأيت رجلاً من امتي وكان قائماً على شفير جهنم
فجاءه رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى،
ورأيت رجلاً من امتي قد هوى في النار فجاءته دمعته
التي بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك،
ورأيت رجلاً من امتي قائماً على الصراط يرعد كما
ترعد السعفة في ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل
فسكن روعه ومضى،

ورأيت رجلاً من امتي يزحف على الصراط يجبو احياناً
ويتعلق احياناً فجاءته صلاته عليّ فاقامته على قدميه وانقذته،
ورأيت رجلاً من امتي انتهى الى ابواب الجنة فغلقت
الابواب دونه، فجاءت شهادة ان لا اله الا الله ففتحت له الابواب
وادخلته الجنة^(١).

كيفية عذاب القبر

(١) ابن القيم الجوزية / كتاب الروح ١٣٩ .

لقد جاءت الآيات القرآنية صريحة في النص على وجود
واتصال الحياة بعد الموت هذا بالإضافة الى الروايات المتواترة
والاخبار المستفيضة والبراهين العقلية ذات المرتكزات الايمانية
والتي تظهر امكانية بقاء النفس بعد الموت.

وقد تقدم ان الحياة تعاد الى البدن او الى بعض منه
لانجاز وظيفة السؤال واطمام الحجة في ترتب الثواب واستحقاق
العذاب خاصة وان ضغطة القبر وغيرها من نتائج الحساب تكون
في بدن الانسان الاصلي وسواء تعرض جميع الناس الى الحساب
في القبر وما يستحق كل منهم من الثواب او العقاب او انه منحصر
فقط في اهل الايمان واهل الكفر كما روي عن الامام جعفر
الصادق عليه السلام: (انما يُسأل في قبره من محض الايمان محضاً
او محض الكفر محضاً، فاما سوى هذين فإنه يلهى عنه). اي ان
المؤمنين الذين التزموا بمسالك الايمان واحكام الشريعة يجعل لهم
الثواب ويفتح لهم باب من القبر الى الجنة ودار النعيم. وان الذين
سلكوا دروب الكفر والضلالة استحقوا العذاب بما ارتكبوا
ولاختيارهم باصرار الشرك يجعل لهم العذاب وتفتح ابواب من
قبورهم الى النار فينظرون الى منازلهم فيها.

وفي هذا الباب ذكر في بجزر الانوار ان الامام جعفر
الصادق عليه السلام سئل عمّن مات في هذه الدار اين تكون
روحه؟ فقال: من مات وهو محض للايمان محضاً او محض

للكفر محضاً نقلت روحه من هيكله الى مثله في الصورة، وجوزي
 باعماله الى يوم القيامة، فاذا بعث الله من في القبور انشأ جسمه
 وردّ روحه الى جسده وحشره ليوقيه اعماله، فالمؤمن ينتقل
 روحه من جسده الى مثل جسده في الصورة فيجعل في جنات من
 جنان الدنيا يتنعم فيها الى يوم المآب، والكافر ينتقل روحه من
 جسده الى مثله بعينه ويجعل في نار فيعذب بها الى يوم القيامة،
 وشاهد ذلك في المؤمن قوله تعالى: ﴿قيل ادخل الجنة﴾. قال ياليت
 قومي يعلمون بما غفر لي ربّي^(١) وشاهد ما ذكرناه في الكافر قوله
 تعالى: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً^(٢)﴾ فاخبر سبحانه ان
 مؤمناً قال بعد موته وقد ادخل الجنة: ياليت قومي يعلمون،
 واخبر ان كافراً يعذب بعد موته غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة
 يخلد في النار، وهناك من يلهى عنه ويعد نفسه عند فساد
 جسمه، فلا يشعر بشيء حتى يبعث، وهو من لم يحض الايمان
 محضاً، ولا الكفر محضاً. وقد بين الله تعالى ذلك عند قوله: ﴿اذ
 يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم الا يوماً^(٣)﴾ فبين ان قوماً عند الحشر
 لا يعلمون مقدار لبثهم في القبور حتى يظن بعضهم ان ذلك كان
 عشراً او يظن بعضهم: ان ذلك كان يوماً، وليس يجوز ان يكون
 ذلك من وصف من عذب الى بعثه ونعم الى بعثه، لان من لم يزل

(١) سورة بس ٢٦ .

(٢) سورة غافر ٤٦ .

(٣) سورة طه ١٠٤ .

منعماً او معذباً لا يجهل عليه حاله فيما عومل به ، ولا يلتبس عليه الامر في بقائه بعد وفاته.

وفي قوله تعالى: ﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب. النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾ قال الحسن ان المقصود بآل فرعون من كان على دينه، وكان السدي يقول: ارواحهم في اجواف طير سود يعرضون على النار غدواً وعشياً ويجوز ان يحيمهم الله بالغداة والعشي ويعرضهم على النار.

لقد ورد في الحديث: اذا مات الميت قامت قيامته، وجاء عن الامام علي عليه السلام انه قال: ليس بيننا وبين الجنة او النار الا الموت، وقد يأولها بعضهم بانغلاق باب العمل واتمام مستلزمات الحساب ووضوح مقام الانسان في الآخرة، او انهما دلالة على بدء مراحل الحساب وانتقال الانسان الى العالم الآخر وانقطاع امله من تغيير المنزلة التي يستحق والجزاء الذي يواجه.

ان ورود الروايات بتعرض الارواح للجزاء وانتقالها الى منازل الثواب او محل العذاب كما في رواية ابراهيم بن اسحاق الجازبي قال: قلت لابي عبد الله -الصادق عليه السلام: اين ارواح المؤمنين؟

فقال: ارواح المؤمنين في حجرات في الجنة، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويتزاورون فيها . ويقولون: ربنا اقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا،

قلت: فإين ارواح الكفار؟

فقال: في حجرات النار، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها ويتزاورون فيها، ويقولون: ربنا لاتقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا.

ان ذلك لا يمنع من الاعتقاد بوقوع الثواب والعقاب للابدان الاصلية في القبر او وصول اثار ذلك النعيم وآلام العذاب الى الابدان الاصلية وقد تقدم ان عذاب القبر في يوم واحد وساعة واحدة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾^(١) قال اصحاب ابي هاشم من المعتزلة: ان الله تعالى ينزع من جسد كل واحد منهم اجزاء قدر ما يتعلق به الروح وانه تعالى يرزقهم على ما نطقت به الآية وما سوى هذا من اجزاء ابدانهم فهي في قبورهم كأجساد سائر الموتى.

وهذا القول منهم مبني على والترجيح ضمن مستوى العقل الانساني ذي الابعاد المحدودة في التصور بالاضافة الى قصوره في ادراك معالم الغيب واسرار الحياة فيما بعد الموت وعجزه عن متابعة الاشارات البيانية المتصلة وغير المنتهية للوجوه المتشعبة من الرزق الواسع الذي ينعم به الله عز وجل على اوليائه

(١) سورة آل عمران ١٦٩ .

واحبائه بعد التوكيد الفعلي لمضامين الاخلاص في العبودية وهو
القادر على كل شيء ولا تستعصي عليه مسألة.

فهو القادر على ان يخلق اجساماً مثالية يضع فيها هذه
الارواح وان يجعلها في نعيم يناسب هيئة الروح المجردة من الجسد
وبغض النظر عن البنية التي تصح معها الحياة ضمن القوانين
التكوينية في الحياة الدنيا سيما وان جسد الانسان لا يتوجه اليه
امر ولا نهى ولا تكليف مباشرة بل يتعلق الامر بالروح والذات التي
هي من الجواهر.

وقد يقول قائل انا لم نر ميتاً خرج من قبره وعليه آثار
العذاب، انها هي مقولة قديمة وتصاغ بالسنة مختلفة متناسبة مع
جهة الصدور لتباين منازل الناس فقد تصدر من جاهل مقتدر
للحجة والبينة والبيان، وقد تصدر من عالم ينتهج الفكر الوثني
ويتبنى مسائله وفق المذاهب الفلسفية اللادينية ومع تلك السعة
العرضية والامتداد الطولي لهذا القول لم تر له عبر العصور اثراً
خارجياً متميزاً، بل ان اصحابه يتراجعون عنه عند حضور
علامات الموت، بالاضافة الى الامارات العقلية المؤيدة للدلالة
الشرعية للحياة بعد الموت.

وفي هذا الزمان حيث تداخلت الحضارات واطلقت
العقائد والافكار بعضها على البعض الآخر وحدث ارتقاء سريع
في سلم العلوم والصناعات الدقيقة مع اتصال هذا التطور واطراده

بسرعة متصاعدة قد يتسائل بعضهم ويقول: لو وضعت اجهزة رصد ومراقبة للميت في قبره حتى فناء بدنه وتفسخ اعضائه هل نرى اثراً لهذا العذاب او لدخول احد الى القبر.

وللاجابة على ذلك نقول بان مايجري في عالم ما بعد الموت ومنه القبر بالنسبة للميت امر قد يختلف عن سير الامور في الحياة الدنيا ونظام الأعمال فيها. وان اشكال ايقاظ الميت وسؤاله وتطورات حسابه تجري بصور وصيغ لا يستطيع العقل البشري الارتقاء الى معرفتها وهي من المسائل الملكوتية. كما ان صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا عاجزين عن رؤية الوحي ساعة نزوله ومع ذلك فكانوا مؤمنين بحضور جبرئيل وان لم يشاهدوه. ومصدقين ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يشاهده ويحدثه.

وهناك صورة تقريبية اخرى لذلك في الحياة الدنيا وهي مايجري للانسان في منامه من الرؤيا المكروهة التي يواجه خلالها انواعاً من العذاب ويشعر معها بالالم والضيق والاذى ويستغيث ويصرخ من غير ان يشعر بذلك من يجلس بجانبه.

ومنها مايسيقظ النائم وهو يشعر باستمرار اثار الرؤيا والامها ويظن بحقيقة وجود من اعتدى عليه او سبب له في الرؤيا الاذى والالم مما لم يشاهده غيره ممن كان يجواره بل ان النائم نفسه تغيب عنه تلك الالام والموجودات التي كانت تفزعها في الرؤيا.

وبالرجوع في المقام الى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا
والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل
الآخري الى اجل مسمى ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون﴾^(١).

يمكن استقراء وجود عذاب القبر حقيقة وان لم يخرج
الميت من قبره او لم ترصد ذلك الأجهزة الحديثة، هذا بالاضافة
الى احتمال وامكانية وجود غيبية اخرى لاشكال هذا العذاب
الذي ورد ذكره في الروايات اجمالاً بتقريب يناسب عقول الناس
ومدارك افهامهم لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: انا معاصر
الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم. ومن الاسرار
الكونية اصل احتجاب ما تلقاه الروح من الثواب والعقاب عن
المدارك ولقد اختلف في صيغ عذاب القبر واحواله على اقوال

١- احياء الميت من غير اعادة الروح فيه.

٢- احياء الميت واعادة الروح فيه.

٣- اعادة الروح الى بعض اجزاء البدن وما يجزي في المسائلة
والاحساس بالعذاب.

٤- اعادة الروح من غير ان تبدو معالم الحياة وآثارها.

٥- اجتماع الآم في الجسد ويكون الحشر موعداً للاحساس بها.

ان اعادة الروح للبدن الاصلي واشترآكهما معاً في مواجهة
عذاب القبر وسؤاله امر غير مستبعد كما انه ظاهر في مفهوم كثير

(١) سورة الزمر ٤٢ .

من الروايات ولا يمنع ذلك من مغادرة الروح بعد مراحل محددة من السؤال او باشتراك العذاب معه وفق موازين العدل الالهي وضمن ما يحكم عالم القبر من احكام ومايرد من الدنيا من عمل يخص الميت وفيه له نفع وثواب . او وزر وعقاب.

البكاء على الميت

يقال بكى بكى بكى وبكاء بالقصر والمد، قيل القصر مع خروج الدمع والمد على ارادة الصوت، وقد جمع الشاعر بين المعنيين فقال:

بكت عيني وحق لها بكاهها وما يعني البكاء ولا

العويل

والبكاء مظهر نفساني يجسد حالة الحزن الشديد عند الانسان واطلاقه العنان للتعبير عما يلزم بالنفس من الجزع والاسى، لذا فقد ثبت في تجارب الطب القديم ودراسات الطب الحديث وجود منافع للانسان في البكاء عند المصيبة لما فيه من التخفيف من وطأتها على النفس . وورد عن منصور الصيقل عن ابيه قال: شكوت الى ابي عبد الله- الامام الصادق عليه السلام وجداً وجدته على ابن لي هلك حتى خفت على عقلي فقال: إذا أصابك من هذا شيء فأفّض من دموعك فإنه يسكن عنك.

لذا يجوز البكاء على الميت ولو كان مع ارادة الصوت.
مع الالتزام بالرضا بقضاء الله. وورد عن ابن القداح عن الامام
جعفر الصادق عليه السلام قال في حديث: لما مات ابراهيم ابن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هملت عين رسول الله
بالدموع ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: تدمع العين
ويحزن القلب ولانقول مايسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون.
وقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين جاءته وفاة
جعفر بن ابي طالب وزيد بن حارثة كان اذا دخل بيته كثر بكاءه
عليهما جداً ويقول: كانا يحدثنى ويؤسانى فذهبا جميعاً^(١).

وهل يمكن تخصيص مورد الحديثين السابقين بأن بكاء
النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما في وفاتهم من مصيبة في
الدين. فأبراهيم مثلاً لو بقي لكان نبياً باخبار رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم. وجعفر وزيد بن حارثة استشهدا في سبيل
الله في معركة مؤتة. ان من الصعوبة بمكان تجريد الامر من اعتبار
منزلة كل منهم في نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وجلاله قدره. وعلى فرض التجريد فليس هناك ماينافي جواز
البكاء عند المصيبة.

ان تمكن الايمان من النفس واستيلائه على المباني الحسية
للانسان يجعل الرحمة رداءً لأحاسيسه التي تنفعل بسرعة مع

(١) الوسائل ١/١٧٥-١٧٦، طبعة حجرية.

ما يهجم عليها لذا يجب السيطرة عليها ومنع العواطف من الظهور
بروح الجزع او الخروج عن التسليم لامر الله. لما في المصيبة من
امتحان في دار الابتلاء وهي في حقيقتها فرصة للاجر ونيل
الثواب. وبالاعتقاد بأن جميع ما نعم به الله علينا عارية منه تعالى
ووديعة جاهزة للرد والتسليم والانتقاد لحكمه تعالى ومشيتته
وبديع حكمته يتم الارتقاء في مقامات الاولياء والسالكين سبل
المعرفة الالهية.

وروي بالاسناد عن محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر
بن عبد الله يقول: لما جيئ بابي يوم أُحُد وجاءت عمي تبكي
عليه، قال: فجعلت أبكي، وجعل القوم ينهوني ورسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم لا ينهاني. فقال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم: ابكوه أو لا تبكوه فوالله ما زالت الملائكة تظله
باجنحتها حتى دفنوه^(١).

وقد ورد في الاخبار ما يفيد بجواز البكاء على الاليف او
القريب الذي وافاه الموت وهو في ضلالة وخسران. بالاسناد عن
عبد الله بن بكير الارجاني قال: ذكرت ابا الخطاب^(٢) ومقتله
عند ابي عبد الله -الامام الصادق- عليه السلام فرقت عند

(١) الاستيعاب في حاشية الإصابة ٢/٣٤١.

(٢) ابو الخطاب محمد بن ابي زينب الاسدي مولى، كوفي كان من اصحاب الامام الصادق عليه
السلام ثم أخذ يكذب عليه وهو غال ملعون تبرأ منه الامام الصادق في روايات كثيرة. بعث
اليه عيسى بن موسى عندما كان عامل المنصور لما اظهر هو واصحابه الإباحيات في الكوفة
وقتلته وجماعته.

ذلك وبكيت، فقال: أتأسى عليهم؟ فقلت: لا، ولكن سمعتك تذكر ان علياً عليه السلام قتل اصحاب النهروان فأصبح اصحاب علي يكون عليهم، فقال علي عليه السلام: أتأسون عليهم؟ فقالوا: لا، انا ذكرنا الالفه التي كنا عليها والبليه التي اوقعتهم فلذلك رققنا عليهم، قال: لا بأس.

والبكاء على الميت امر متعارف قبل الاسلام حيث تسكن اليه النفوس باعتباره عنوان رأفة ولسان وفاء وربما كان موجوداً من غير استغراب في حياة بعض الانبياء (روي بالاسناد عن محمد بن الحسن الواسطي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: ان ابراهيم خليل الرحمن سأل ربه ان يرزقه ابنة تبكيه بعد موته)^(١).

ان جواز البكاء على الميت لا يعني اتخاذه رداً وفعلاً دائماً يجب الاشتغال به المرء عن ذكر الله والتدبر في فلسفة مصيبة الموت باعتبارها سبيلاً للايمان وباباً للهداية وامتحاناً في منازل التقوى.

روي عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: الميت يُعذب بما نيح عليه) وفي رواية يعذب بكاء اهله عليه (وقد نقل ابن ابي مليكة عن عائشة انها قالت: انما كانت يهودية ماتت فسمعهم النبي صلى الله

(١) الوسائل ١/١٧٠، طبعة حجرية.

عليه وآله وسلم يكون عليها قال : فان اهلها يكون عليها وانها تُعَذَّبُ في قبرها^(١) .

النوح على الميت

النوح مصدر ناح ينوح نوحاً ويقال نائحة ذات نياحة . وناحت المرأة على زوجها اي بكت عليه بصوت مسموع وكلمات مفهومة . وقد يأتي النوح بمعنى اجتماع النساء للحزن ويقال لمن النوائح . ونوح الحمامة ما تبديه من سجعها على شكل النوح، وقال بعضهم ان النوائح مأخوذ من التناوح بمعنى التقابل . لان بعض النساء يقابل البعض الآخر عند النوح . ونوح -بضم النون- اسم نبي وهو اعجمي لذا قيل ان اسمه عبد الشكور او عبد الغفار وان نوحاً لقب له لكثرة نوحه ولبكائه على ذنوب قومه .

ان بكاء الزهراء البتول عليها السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امر معروف في كتب عامة المسلمين ومنه النوح على حمزة لذا فان النوح على الميت امر جائز سواء كان ذلك بالنظم او النثر بشرط ان يكون خالياً من الويل والثبور وان لا يكون فيه كذب او جحود، وان لا يخرج عن التسليم لامر الله عز وجل والرضا بقضائه وقال الامام علي عليه السلام: مروا اهل بيوتكم بالقول الحسن عند موتاكم فان فاطمة عليها السلام لما

(١) سنن ابن ماجه ١/٥٠٨ .

قبض ابوها اسعدتها بنات هاشم، فقالت: اترك التعداد
وعليكن بالدعاء.

ان النوح ليس غاية وهدفاً مقصوداً بذاته بل هو مدخل
لجريان الدمع والتخفيف عن النفس وازاحة بعض الاحزان ومنع
هيمنتها على البدن والسلوك. لذا يجب ان يكون الانسان ذكراً
كان او انثى - حذراً من الاسترسال في النوح والولوع في مداخل
الجزع لذا قال الامام محمد الباقر عليه السلام انما تحتاج المرأة في
المأتم الى النوح لتسيل دمعها، ولا ينبغي لها ان تقول هجراً، فاذا
جاءها الليل فلاتؤذي الملائكة بالنوح. وبالاسناد عن عمرو بن
ابي المقدم قال: سمعت ابا الحسن وابا جعفر في قول الله عز
وجل: ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ قال إن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم قال: لفاطمة عليها السلام: اذا انا مت
فلاتحشمي عليّ وجهاً ولا ترخي عليّ شعراً ولا تنادي بالويل
ولا تقمين عليّ نائحة. ثم قال: هذا المعروف الذي قال الله عز
وجل في كتابه ولا يعصينك في معروف^(١) كما ورد عن يزيد بن
عبد الله مولى الصهباء عن شهر بن جوشب عن ام سلمة عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ولا يعصينك في معروف قال
النوح. وجاء في الزوائد ان يزيد بن عبد الله الذي جاء في
اسناده مختلف فيه^(٢).

(١) الوسائل ١/١٧٤.

(٢) سنن ابن ماجه ١/٥٠٣.

وورد في تفسير علي بن ابراهيم بخصوص الآية بيان تفصيلي حيث ذكر انها نزلت في يوم فتح مكة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قعد في المسجد يبايع الرجال الى صلاة الظهر والعصر ثم قعد لبيعة النساء . .^(١) ولاتعارض بين وجوه تفسير الآية واسباب نزولها.

ويحوز ان يكون النوح بصيغة النثر او السجع او الشعر بشرط ان لا يكون بالباطل ولا يتضمن كذباً،

وما لا يحوز اللطم على الميت والخدش لما فيهما من اضرار محرم وربما كان في ذلك خروج عن التسليم والرضا بقضاء الله (وقد ورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال فيما اوصى به عند احتضاره بأن لا يطمن على خد، ولا يشقن على جيب، فما من امرأة تشق جيبها الا صدع لها في جهنم صدع كلما زادت زدت)^(٢).

(١) مهذب الاحكام ٤/٢٤٥ .

(٢) ن.م ٤/٢٤٦ من مستدرك الوسائل .

قراءة القرآن

دأب المسلمون على قراءة القرآن على القبور وتلاوة سور مخصوصة منه، لورود دليل على المنفعة من قراءتها للميت وفي ذلك اخبار عديدة ومن تلك السور سورة يس وسورة الملك وسورة الواقعة. وعن الامام الرضا عليه السلام ان اهل المقبرة يدعون الله ان يربهم المؤمن فيقرأ سورة الفاتحة فيتقاسمون ثوابها دون ان ينقص من ثواب كل واحد منهم شيء. وعنه عليه السلام انه يستحب قراءة سورة الفاتحة وسورة التوحيد ثلاث مرات وسورة القدر سبع مرات على القبر فان في ذلك مغفرة لذنوب الميت.

وروي ان فاطمة عليها السلام لما احتضرت اوصت علياً عليه السلام فقالت: اذا انا مت فتول انت غسلي وجهزني وصل علي وانزلي في قبري والحدني وسوي التراب علي واجلس عند رأسي قبالة وجهي فأكثر من تلاوة القرآن والدعاء فانها ساعة يحتاج الميت فيها الى انس الاحياء.

زيارة القبور

تعتبر القبور في شيوخها مدرسة اخروية ذات فصول روحية تبعث على الاعتبار وتضغط على الذهن لحضور هذه الحقيقة في قاموس الاحوال الخاصة بذات الانسان وما ينتظره في

مستقبل ايامه فتساهم بصورة مباشرة او غير مباشرة في زرع
وتغذية نزعة الهداية و ارادة الصلاح بادراك ضرورة الاستعداد
لهذا العالم. و رسم البرامج المنهجية في السيرة والسلوك بما يكون
ذخيرة لمحنة القبر وشدة ساعاته ذات الطول الرهيب من حيث
الزمان والبطئ في حركة دقائق اجزائه.

ولقد ورد في احاديث النبي محمد صلى الله عليه وآله
وسلم بيان وعلّة زيارة القبور فقد ذكر بالاسناد (عن انس بن
مالك مرفوعاً: اني نهيتكم عن زيارة القبور فمن شاء ان يزور قبراً
فليزره فانه يرق القلب، ويدمع العين ويذكر الآخرة، ولا تقولوا
هجراً)^(١).

وبالاسناد عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قال: كُتِّبَ نَهْيُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا فَانْهَى
تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا، وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ^(٢).

ولعل ما ذكر من النهي عن زيارة القبور الذي اكدت
الاحاديث والسنة الفعلية نسخه كان من اجل توجيه المسلمين نحو
واجبات الجهاد وتثبيت اركان الاسلام وعدم الاشتغال بزيارة
القبور ونحوها عن حفظ القرآن والاهتمام باحكام الشريعة والتفقه
في ابواب الدين. وللحيلولة دون زيارة قبور آباء المسلمين الاوائل

(١) مسند أحمد ٣/٢٣٧، الغدير ٥/١٦٧.

(٢) ابن ماجة ١/٥٠١.

الذين هم في غالبهم من المشركين وان زيارة قبورهم مع بدايات نداء الايمان في الصدور وحادثة العهد مع الاسلام تشكل استحضاراً لأفعالهم وعقائدهم الباطلة او ميل الى طبيعة حياتهم اليومية الخالية من الامثال الى الدعوة لنشر راية الاسلام في آفاق الجزيرة العربية.

ان الوظائف الاساسية للرعييل الاول من الصحابة تملي عليهم مسؤوليات يومية متصلة تحتم الاعراض عن الاشتغال بما يؤدي الى الضرر في الواجبات والاعمال في نتائجها (وبالاسناد عن ابن بريده عن ابيه^(١)) قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان في زيارتها تذكرة)^(٢). كذلك جاءت السنة في بيان مضامين زيارة القبور ضمن الشعائر الاسلامية وروح الايمان، فقد ورد عن ثوبان^٣ مرفوعاً: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها واجعلوا زيارتكم لها صلاة عليهم واستغفار له.

(١) بريده بن الحبيب بن عبد الله بن الحرث بن الاعرج بن سعد بن رزاح بن عدي بن سهم بن مازن الأسلمي. قال ابن السكن اسلم حين مر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهاجر بالغميم واقام في موضعه حتى مضت بدر واحد ثم قدم بعد ذلك وروي انه غزى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ست عشرة غزوة. وعلى قول ابن سعد يكون تاريخ وفاته عام ثلاث وستين.

(٢) سنن ابي داود ٢١٨/٣.

(٣) ثوبان: مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقال انه من العرب وقيل من السراة اشتراه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم اعتقه. وقد قام بخدمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى ان مات فتحول ثوبان الى الرملة ثم مرض ومات بها سنة اربع وخمسين.

لذا يمكن اعتبار زيارة الميت في قبره باباً للاستغفار وسبباً لنزول الرحمة وتجديداً للعهد معه بروح الايمان، والاعتقاد بالعالم الآخر وان الاموات يحتاجون الى مسالك الهداية وفي ذلك دعوة الى التقوى، وحث على اداء الطاعات، وفعل الصالحات، ووجه من وجوه البر، وصلات الرحمة مع الالباء وذوي الأرحام الذين انقطع عملهم ورجاؤهم من الدنيا الا ما يرد اليهم بهذه الهبات.

لقد ورد ان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان يزور البقيع. عن عائشة: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخرج الى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، واتاكم ما توعدون غداً مؤجلون، انا بكم ان شاء الله لآحقون، اللهم اغفر لاهل بقيع الفرقد. لذلك جاءت الرواية بان فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده (وبالإسناد عن هشام بن سالم قال سمعت الامام جعفر الصادق عليه السلام يقول: عاشت فاطمة عليها السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوماً لم تر كاشرة ولا ضاحكة تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين الاثنتين والخميس فتقول هيهنا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهيهنا كما المشركون)^(١).

(١) الوسائل ١/٤٣٨، طبعة حجرية.

الذي لا يدفن

قد لا يحصل بعض الناس على مدفن يقبر فيه ويكون له سكناً في عالم البرزخ اما بسبب اعتقاد ومذهب كما عند الاقوام الذين يبادرون الى حرق موتاهم -بغض النظر عما في ذلك الفعل من الابتعاد عن اكرام الانسان بعد موته وانعكاس ذلك على النفوس التي لازالت تنبض بالحياة. واما بسبب طبيعة الموت وهيئة كالغريق ونحوه. فهل ينجو من يستحق عذاب القبر من هؤلاء من المحاسبة وضمة القبر وغير ذلك؟ الجواب انه لا بد من ملاقة المسائلة والحساب وان لم يدخل الميت القبر والله عز وجل قادر على ذلك. فمع وجود المقتضي وانعدام المانع يمكن تصور تعرض اجزاء بدن الميت للعذاب وان كانت متفرقة وكل حسب ما يقع عليها من المجموع الكلي. او ان البدن يتعرض للعذاب ولو لم يكن في قبر فقد سئل الامام جعفر الصادق عليه السلام عن المصلوب يصيبه عذاب القبر؟ فقال: ان رب الارض هورب الهواء، فيوحي الله عز وجل الى الهواء فيضغطه ضغطة أشد من ضغطة القبر.

شبهة الأكل والماكول

ترد هذه الشبهة على القول بالمعاد الجسماني ومضمونها ان الانسان اذا صار غذاءً لانسان آخر فان الجزء المأكول منه اما ان يكون يوم النشور في جسم الأكل او في بدن المأكول مما ينفي تمام العينية اي عينية البدن الأخرى لبدن الانسان ذاته في الحياة الدنيا. وكذلك كيف تكون اوجه الجزء اذا كان الأكل وثنياً او كافراً والمأكول منه مؤمناً فقد يكون في الجزء عذاب لهذا المؤمن او يكون فيه ثواب للكافر او تتداخل اوجه الجزء المختلفة على ذات البدن.

وهذه الشبهة مدفوعة وتم تفنيد ما فيها من قول ذلك ان الصورة جوهر ثابت لا ينقلب وتحفظ باستقلالها وان انتقلت الى ماهية اخرى. فصيرورة الماء هواء مثلاً لايعني تغير صورة المائية، بل ان المادة لاتزال باقية موجودة غير معدومة، ولكنها انخلعت من شكلها الاول وصارت ذات شكل اخر. لذا فان بدن المؤمن في علم الله محدد ومعروف، ولايمكن ان يصعب فرز بدن انسان عن اخر او عن حيوان او عن تراب، وكل شيء مستجيب لله عز وجل ويعرف وظيفته ومقامه وان الصورة الخاصة ليست شرطاً في مادية البدن، هذا بالاضافة الى اعتماد الحيثية في البعث والنشور على النفس التي فيها يكون تشخص الانسان خاصة وان اجساد الموتى تبلى وتتفاعل جزئياتها مع التراب والنباتات وقد تدخل ابداناً اخرى.

والقول بان البدن الذي يحشر في الآخرة هو عين بدن
الانسان لامثليته وان رآه في الآخرة يقول هذا فلان الذي عهدناه
في الحياة الدنيا هو امر ثابت في الشريعة وممكن عقلاً وهو مجرد
ذاته رد على هذه الشبهة وابطال لها .

ومع الارتقاء العلمي في هذا الزمان وصعود الانسان
ورحلاته الى الكواكب الاخرى قد يرد سؤال هو ما حال من يموت
في الكواكب الاخرى خاصة عند استقرار الحياة فيها والله عز
وجل يقول: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة
أخرى﴾^(١) .

إن تلك الاعادة لاتدل على الفورية بل انها تسبق النشور.
بالاضافة الى ان احتمال خروج نفر عن القاعدة لا يمنع من
جريانها وذكرها، ووحدة الموضوع الشاملة لذلك النفر الذي قد
يقطن الكواكب وهي الدفن ومن ثم النشور، وأتحد سنخية
الترية.

نش القبور

تتضمن عملية دفن الميت اكراماً للميت وحفظاً له
وتعاهداً لبدنه وقد ورد في الحديث ان حرمة المؤمن ميتاً كحرمة
حياً . لذلك افتى الفقهاء بجرمة نبش قبر المؤمن وعليه الاجماع.

(١) سورة طه ٥٥ .

وما يجب ان يقال في المقام ان هذا النيش لا يمكن اعتباره
مثلة بالميت به وان ذهب بعض الفقهاء الى هذا الاعتبار. ذلك
ان المثلة التي ورد الحديث بالنهي عنها هي في خصوص القليل
جدع انفة واذنه او مذاكيره او شيئاً من اطرافه او نحوه، كما
(يقال مثلت بالحيوان امثل به مثلاً اذا قطعت اطرافه وشوهدت
به)^(١). وما جاء في باب الحدود من قطع يد السارق وتعزيره انما
كان لاختذه الكفن ومن لم يأخذ فهو بمنزلة من تقب بيتاً ولم يسرق
منه (وقد ورد عن زيد الشحام عن الامام جعفر الصادق عليه
السلام انه قال: اخذ نباش في زمن معاوية فقال لصاحبه ماترون
فقالوا نعاقبه ونخلي سبيله، فقال رجل من القوم ما هكذا فعل
علي بن ابي طالب قال: وما فعل؟ قال: يقطع النباش وقال وهو
سارق وهتاك للموتى)^(٢).

واستثنت بعض الحالات التي قيل فيها بجواز النيش
كالعلم باندراس القبر واضمحلاله وصيرورته تراباً. ولا يشمل هذا
الجواز قبور الائمة والشهداء واولياء الله والصالحين والعلماء وان
تعاقبت القرون عليهم خاصة التي اتخذها الناس مزاراً ومحلاً
لسؤال البركة ومظان الاستجابة من عند الله عز وجل.

(١) لسان العرب ١١/٦١٥.

(٢) الوسائل ٣/٤٨٧.

ويتحقق عنوان النيش بظهور الجسد وبروزه فلا يتم بمجرد حفر القبر واظهار بعض ترابه وعلق بعض الفقهاء تحققه بالعرف وهتك الحرمة.

وهناك موارد تستثنى من حرمة النيش والتي تعتبر في الغالب من صغيرات قاعدة الالهم والمهم:

١- اذا دفن الميت في مكان مغضوب مع العجز عن الحصول على موافقة المالك ورضاه ببقاء الميت وان كان من المناسب للمالك ان يرضى بذلك ويقبل القيمة خاصة في حالة عدم العدوان، وعلى اولياء الميت ان يبادروا الى بذل القيمة والحيلولة دون نقل الميت خاصة ان كان حقه اهم وبقاؤه اولى. وكذلك اذا كان الكفن مغضوباً او ان مالاً قد دفن مع الميت مما يعتد به فينبش القبر لاجراجه حيث انه يعود الى الورثة او غيرهم.

٢- اذا دفن الميت من غير تغسيل او كفن او اتضح عدم صحة الغسل او ان الكفن مخالف للشرائط كأن يكون من جلد الميتة. فيجوز النيش لتصحيح ذلك اذا لم يكن فيه هتك للميت الذي يعتبر هو الالهم في المقام.

٣- اذا كان في رؤية جسد الميت اثبات بعض الحقوق.

٤- اذا كان مكان دفنه مما لايناسب شأنه لاعتبارات شرعية كأن يدفن في مقبرة كفار او في مزبلة.

٥- اذا حضرت امور ضرورية تدعو الى النبش وكذا الامر الراجح الذي يستوجب في موارد التزاحم وهناك اسباب اخرى يمكن معها المبادرة الى النبش مبينة في المفصلات الفقهية.

سفر الروح

الروح هي خاصة الانسان والبنيان الخفي الذي يرتكز عليه في بقاءه حياً وهي جسم بخاري لطيف يستمد استمراره في الحيوية والقوة من لطافة الاغذية وبخاريتها ولها تأثير كبير في نظام البدن وطبيعة افعاله وقد قوى العلم الحديث حقيقة الظواهر النفسية واهميتها في حياة الانسان واكتشف دورها في التسبب في كثير من امراض البدن وافرد علماً مستقلاً لذلك وهو قابل لانشطارات وتشعبات تكفل دراسة ومعالجة الحوادث البدنية ذات الارتباط المباشر بالروح.

وقوله تعالى: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾^(١) يظهر ان الروح هي غير قوة الحس والحركة وجريان الدم، مما ينبعث من القلب ويتوزع بحكمة ونظام دائم في اركان البدن واجزائه وتجاويف الاعصاب والشرابين، ويصدر منها ضياء البصر على العين، وملكة السمع على الاذن، والقدرة على النطق، ونحو ذلك من الحواس وسائر اعضاء البدن مما تشترك فيه البهائم.

(١) سورة الحجر ٢٩ .

ان نسبة الروح الى الله عز وجل في حدوثها، ووقوف الفلاسفة والمفكرين عاجزين عن ادراك كنه حقيقتها، مع اقرار البشر بوجودها في تركيب الانسان وتكوينه باشتراكها مع البدن في ماهية الانسان وكيان وجوده، امور تؤكد اهمية موضوع الروح خاصة وان الارواح باقية بعد انفصالها في الموت عن الجسد . وهذا بالاضافة الى الدلالات الخاصة للحديث الذي روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو: خلق الله الارواح قبل الاجساد بالفري عام. والذي قال فيه الشيخ المفيد انه من اخبار الآحاد . وأوله بعضهم بان الله عز وجل قدر الارواح في علمه قبل اختراع الاجساد.

ان قول الامام علي عليه السلام: ان الارواح تكل كما تكل الابدان، يؤكد ان الروح مادة وجوهر منفصل عن البدن. وما يثبت سبق الاسلام في هذا المضمار هو اعتراف علماء الطب والاخلاق بوجود امراض للنفس خاصة بها نشوءاً وبقاءً.

وهذا سبق اشارة اعجاز وبيان لما جاء به القرآن والسنة من اخبار عن حقائق في النفوس لازال العلم الحديث مع تطوره مرتبكاً في تشخيص ابواب الوقاية منها وعلاجها الخالي من المضاعفات الجانبية فضلاً عن معرفة كنهها.

وفي الحديث: الارواح خمسة روح القدس وروح الايمان وروح القوة وروح الشهوة وروح البدن فمن الناس من يجمع فيه

الخمسة ارواح وهم الانبياء السابقون ومنهم من يجتمع فيه اربعة ارواح وهم من عداهم من المؤمنين ومنهم من يجتمع فيه ثلاثة ارواح وهم اليهود والنصارى ومن يحدو حدوهم . وعن امير المؤمنين عليه السلام قال: خلق الله الناس ثلاث طبقات وانزلهم ثلاث منازل وذلك قول الله تعالى: «اصحاب الميمنة» و«اصحاب المشئمة» و«السابقون»^(١) . فأما السابقون فانهم الانبياء مرسلين وغير مرسلين جعل الله فيهم خمسة ارواح القدس بها بعثوا انبياء مرسلين وغير مرسلين وبها علموا الاشياء، وروح الايمان وبها عبدوا الله تعالى ولم يشركوا به شيئاً، وروح القوة وبها جاهدوا عدوهم وعالجوا معاشهم، وروح الشهوة وبها اصابوا لذيق الطعام ونكحوا الحلال من شباب النساء، وروح البدن وبها دبوا ودرجوا، واما اصحاب الميمنة وهم المؤمنون حقاً جعل الله فيهم اربعة ارواح روح الايمان وروح القوة وروح الشهوة وروح البدن فلا يزال العبد يستكمل هذه الارواح الاربعة حتى تأتي عليه حالات اما الاولى فكما قال تعالى: «ومنكم من يرد الى اذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً» فهذا تنتقص منه جميع الارواح وليس بالذي يخرج من دين الله لان الفاعل به هو الذي رده الى اذل العمر ومنهم من ينتقص منه روح القوة فلا يستطيع جهاد عدوه ولا يستطيع طلب المعيشة ومنهم من ينتقص منه روح الشهوة

(١) أنظر سورة الواقعة ٨-٩-١٠ .

فلو مرت به اصبح بنات آدم لم يحن اليها وتبقى روح البدن فيه فهو يهرب ويدرج حتى يأتيه الموت فهذه الحال خير له لان الله هو الفاعل به ذلك وقد تأتي عليه حالات في قوته وشبابه فيهم بالخطيئة فتشجعه روح القوة وتزين له روح الشهوة وتقوده روح البدن حتى توقعه في الخطيئة فاذا لامسها نقص منه الايمان فليس يعود فيه حتى يتوب واما اصحاب المشيمة فهم اليهود والنصارى جحدوا ما عرفوا فسلبهم الله روح الايمان واسكن ابدانهم ثلاثة ارواح روح القوة وروح الشهوة وروح البدن ثم اضافهم الى الانعام وقال: (فقال: ان هم إلا كالانعام .. الحديث)^(١).

وقد يحمل هذا على وجوه فاعلية الروح وميادين نشاطها ولا يمكن تصويره على تعدد الارواح عند الانسان ذلك ان الاحاديث جاءت صريحة بانها روح واحدة ولكنها تحمل سمات الخير او الشر، ووجوه الارادة والفعل.

ان بقاء الروح وجلالة جوهرها وانعدام صورة البدن بعد قطع تلبس الروح به عند الموت وبعده دفع بعض الفلاسفة اتباع المشائين الى الظن بان المعدوم لا يعود، وان القوى البدنية تنفي باتقاء البدن، فأذا زال المحل زال الحال. وقد اجابهم الاسلام بجواز اعادة المعدوم بعينه وقال بعض فلاسفة المسلمين بالمثلية في البدن ذلك ان التكليف موجه اصلاً الى النفس وهي المثاب

(١) مجمع البحرين ٤٠٣، طبعة حجرية.

والمعاقب. والرئيس في الشفاء وان لم يحقق بالبرهان المعاد الجسماني الا انه لم ينفيه. ونظر بعض من اهل الظاهر الى الانسان باعتباره هذا الكيان الجسدي المتكون من اللحم والعظم والجلد ونحوها وما يصيبه من الامراض والكيفيات وهو نظر متخلف عن الواقع وفيه نقص ووهن. ومع الاقرار ببقاء الروح بعد فناء الجسد الا انها تتعرض هي الاخرى للفناء قبل قيام الساعة شأنها شأن المخلوقات الاخرى في الماديات وعالم الملكوت قال تعالى: ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام﴾^(١) (وقال الإمام علي عليه السلام: ان الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لاشيء معه كما كان قبل ابتدائها، كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولامكان، ولاحين، ولازمان عدت عند ذلك الآجال والاوقات وزالت السنون والساعات فلاشيء الا الله الواحد القهار الذي اليه مصير جميع الامور)^(٢). وهذا لاينفي وجود الروح ايام البرزخ بعد هجرانها للجسد بالموت وقد روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: ما خلقتم للفناء بل خلقتم للبقاء وانما تنقلون من دار الى دار. وروي ايضا ان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقف على قلب بدر فقال للمشركين الذين قتلوا يومئذ وقد ألقوا في القلب: لقد كنتم جيران سوء لرسول الله، اخرجتموه من منزله وطردتموه، ثم اجتمعتم

(١) سورة الرحمن ٢٦-٢٧.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٨٨/٢.

عليه فحاربتموه، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً. فقال له عمر:
يا رسول الله: ما خطابك لهام قد صدت^(١). فقال له: مه يا ابن
الخطاب، فوالله ما انت باسمع منهم، وما بينهم وبين ان تأخذهم
الملائكة بمقامع الحديد الا ان اعرض بوجهي هكذا عنهم^(٢).

ولقد وردت اخبار كثيرة وروايات وارااء مستنبطة في
محل تواجد الروح بعد الموت وانفصالها عن الجسد حيث انها
لا تفنى بفناء الجسد منها:

١- ان الروح تعاد للبدن ساعة الدفن وسؤال منكر ونكير لذلك
ورد الحديث بالنداء للميت: يا فلان بن فلانة وانه يسمع
ولا يجيب، وهذا الحديث وبغض النظر عن اسناده محط عمل
المسلمين في مختلف البلدان ومع تعاقب الازمان.

٢- الارواح على افنية قبورها . وقد علم النبي صلى الله عليه وآله
وسلم المسلمين كيفية زيارة القبور وهي ان يقولوا سلام عليكم
اهل الديار من المسلمين والمؤمنين . . . الحديث.

٣- ان الارواح مرسلة تذهب حيث شاءت . وقال مالك انه بلغني
ذلك (وقد ورد عن حماد بن عثمان ان الامام جعفر الصادق
عليه السلام ذكر الارواح ، ارواح المؤمنين فقال: يلتقون .
قلت: يلتقون؟ قال: نعم ويتساءلون ويتعارفون حتى اذا رأته

(١) الهام: جمع هامة وهي الرأس وصدت أي ماتت .

(٢) مجاز الاتوار ٦/٢٥٤ .

قلت: فلان^(١). وهناك روايات تفيد ان الارسال مختص
بارواح المؤمنين.

٤- قالت طائفة منهم ابن حزم ان مستقر الروح بعد الموت حيث
كانت قبل خلق جسدها.

٥- قال بعضهم ان مستقرها العدم المحض على القول بانها عرض
من اعراض البدن كما قال العلاف وهو قول شاذ وقد ثبت
استحالة وجود صفة لا في محل.

وجاءت الروايات بتفصيل لاحوال الارواح في عالم البرزخ
باعتباره ميدان ابتدائي للجزاء، واول ابواب الآخرة، وتفيد في
مجموعها:

١- ان ارواح المؤمنين في الجنة اذا لم تحجبهم كبيرة ولادين. وان
ارواح الكفار في النار بالاسناد عن ابراهيم بن اسحاق
الحجازي قال: قلت لابي عبد الله -الامام الصادق- عليه
السلام: اين ارواح المؤمنين؟ فقال: ارواح المؤمنين في حجرات
في الجنة. يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها. ويتزاورون
فيها. ويقولون: ربنا اقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا، قلت:
فاين ارواح الكفار؟ فقال: في حجرات النار يأكلون من
طعامها، ويشربون من شرابها، ويتزاورون فيها، ويقولون: ربنا
لا تقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا وقال الامام احمد برواية

(١) بحار الانوار ٦/١٣٤.

ابنه عبد الله: ارواح الكفار في النار وارواح المؤمنين في الجنة^(١).

٢- قال كعب: ان ارواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة وارواح الكفار في سجين في الارض السابعة تحت جند أباليس.

٣- قالت طائفة ان ارواح المؤمنين في بئر زمزم وارواح الكفار ببئر برهون^(٢).

٤- قال ابن منده: ان طائفة من الصحابة والتابعين قالوا بأن ارواح المؤمنين عند الله عز وجل.

٥- ان ارواح المؤمنين ببناء الجنة على بابها يأتيهم روحها ونعيمها ورزقها.

٦- روي عن سلمان الفارسي انه قال: ان ارواح المؤمنين ببئر زمزم وان ارواح الكفار في سجين وفي لفظ عنه: نسمة المؤمن تذهب في الارض حيث شاءت.

٧- ان ارواح المؤمنين عن يمين آدم وارواح الكفار عن شماله.

٨- قال ابن عبد البر: ان ارواح الشهداء في الجنة وارواح عامة المؤمنين على افنية قبورهم.

٩- تكون الارواح بعد الموت في ابدان اخر، وورد منسوباً الى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان ارواح المؤمنين في حواصل

(١) بحار الانوار ٦/١٣٤.

(٢) كتاب الروح لابن الجوزية / ١٥٥.

طير خضر تأتي الى قناديل معلقة بالعرش هي لها كاوكار للطائر. واختار ابن حزم وغيره ان يكون الروح في صورة طائر. وعن ابي ولاد الحنيط أنه قال للامام الصادق عليه السلام: جعلت فداك يرون ان ارواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش، فقال: لا، المؤمن اكرم على الله من ان يجعل روحه في حوصلة طير. لكن في ابدان كأبدانهم) اي في ابدان مثالية.

١٠- في وادي السلام لما روي عن احمد بن عمر انه قال للامام جعفر الصادق عليه السلام: ان اخي ببغداد واخاف ان يموت بها فقال: ماتبالي حيثما مات، اما انه لا يبقى مؤمن في شرق الارض وغربها الا حشر الله روحه الى وادي السلام، فقلت له: واين وادي السلام؟ قال: ظهر الكوفة، اما اني كأني بهم حلق حلق قعود يتحدثون.

١١- في شجرة من الجنة لما رواه ابو بصير عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: ان ارواح المؤمنين لفي شجرة من الجنة يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويقولون: ربنا اقم لنا الساعة وانجز لنا ما وعدتنا، والحق آخرانا بأولنا.

١٢- عن الامام الصادق عليه السلام: ان ارواح المؤمنين في روضة كهيئة الاجساد في الجنة.

١٣- في بدن مثالي بمثل صورته في الدنيا وهذا البدن ليس جديداً
ولانسخاً وانما كان موجوداً في الاصل في ذات الانسان وظله
وهو الذي يراه الانسان بالرؤيا حيث يرى نفسه وشخصه ينتقل
ويعمل ويؤذى ونحو ذلك فاذا ما فارقت الروح الجسد بالموت
فارق معها الجسد المثالي فتلبس به (وعن الامام جعفر
الصادق عليه السلام في حديث: فاذا قبض الله عز وجل -
روح المؤمن- صير تلك في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون
ويشربون، فاذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت
في الدنيا)^(١).

١٤- الارواح المرسله التي كتب الله لها النعيم في عالم البرزخ
تتلاقى وتذاكر ما فارقت من الدنيا روي انه لما مات بشر بن
البراء بن معرور وجدت عليه ام بشر وجداً شديداً فقالت:
يا رسول الله انه لا يزال الهالك يهلك من بني سلمة، فهل تتعارف
الموتى فارسل الى بشر بالسلام؟ فقال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم: نعم والذي نفسي بيده يا أم بشر انهم
ليتعارفون كما تتعارف الطير في رؤوس الشجر، وكان لا يهلك
هالك من بني سلمة الا جاءته ام بشر فقالت: يا فلان عليك
السلام فيقول: وعليك. فتقول: اقرأ على بشر السلام^(٢).

(١) بحار الانوار ٦/٢٧٠.

(٢) كتاب الروح لابن الجوزية ٢٨/.

١٥- ارواح المؤمنين تسبح في الجنة وتتنعم بنعيمها والارواح المعذبة في شغل عن التزاور والتلاقي.

١٦- في حديث الاسراء رأى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الانبياء وتحدث معهم وصلى بهم، كذلك ورد فيه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما كان في السماء اذا هو برجل آدم جسيم تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينتقص من خلق الناس تعرض عليه ارواح بني آدم فيقول لبعضها خيراً ويشرهم بالخير ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة المطففين على رأس سبع عشر آية (كلا إن كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون). ويقول لبعضها شراً ويعبس ويقول ريح خبيث. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجبرئيل: من هذا؟ قال: هذا ابوك آدم يعرض عليه ارواح ذريته. وفي رواية ان ابراهيم كان مسنداً ظهره الى البيت المعمور. وربما كانت احوال الانبياء في عالم البرزخ تختلف عن غيرهم من الناس لما حباهم الله به من الكرامات في الدنيا والاخرة.

١٧- ارواح المؤمنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت وارواح الكفار في سجين.

يظهر من كل هذا ان الارواح في البرزخ متفاوتة وعلى درجات وتختلف في المنزلة التي تتوقف عليها ايضاً لكثرة الحركة

والتنقل ولا بد ان ذلك باب من ابواب الجزاء وسبيل الى الاخرة
ولعل من ارواح المؤمنين من انعم الله عليها بالسياحة في الجنة
وزيارة الاهل والذهاب الى القبر وربما زارت بعض ارواح الاحياء
كما يتجسد ذلك في الرؤيا يراها النائم ويتكلم فيها او يشاهد
ميتاً من معارفه ومن الآيات في المقام ان الميت في الرؤيا لا يكذب
ذلك انه من عالم الخلود كما روي ذلك عن الامام الباقر عليه
السلام وكم من ميت اخبر في الرؤيا عن حقائق وخفايا فوجدت
كما اخبر.

ان الله عز وجل خالق الحبة وبارئ السمعة والروح
مخلوقة، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (الارواح جنود
مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) والجنود
المجندة لاتكون الا مخلوقة.

والروح خلق من خلق الله وصنع من صنعه بل هي من
بديع خلقه ولطيف صنعه، وآية بينة وحجة.

ولما للروح من ادراك ومعرفة بالمقولات بل ومعرفة بالنفس
فانها ليست بعرض خاصة وان العلوم عرض ولا يمكن ان يحل
العرض بعرض مثله، مما يدل على خطأ النظرة القائلة بأن الروح
تحل بالقلب كما يحل البياض في الموضوع.

كذلك فان الروح ليست يجسم لان الجسم قابل للقسمة في
الجهات الثلاثة الطول والعرض والعمق، وقد ثبت ان الروح لاتقبل

القسمة لان القسمة تستلزم انشطار العلم وربما اجتماع النقيضين
اي العلم والجهل في حالة واحدة وهو محال.

وقيل: (وبالصحيح من المذاهب عند أكثر علماء الاسلام
كالشيخ ابي القاسم الراغب الاصفهاني والشيخ ابي حامد الغزالي
ومن قدماء المعتزلة معمر بن عباد السلمي ومن الشيعة الشيخ
المفيد رضي الله عنه ومن الكرامية جماعة ومن الفلاسفة الالهيين
كلهم ان روح الانسان جوهر مجرد ليس داخل العالم الجسماني ولا
خارجه، ولا متصل به ولا منفصل عنه ولكنه متعلق بالبدن تعلق
التدبير والتصرف، كما ان اله العالم لاتعلق له بالعالم الاعلى الا
على سبيل التصرف والتدبير)^(١).

ولكن كيف تكون الروح لادخل العالم الجسماني
ولاخارجه خاصة وان لايمكن تصور وسط بينهما . ثم ان المثال
اجنبي عن المقام فواجب الوجود غير الممكنات والخلائق كافة
ومنفصل عنها وهي حادثة محتاجة متميزة.

وللفلاسفة اقوال متباينة في الروح. فمن الفلاسفة
اليونانيين من اعتبرها نجارا ومنهم من عدها حرارة وقال ارسطو
انها الاصل والصورة الاولى لجسم طبيعي متمتع بحياة القوة.
وهذه الاقوال وغيرها وان اختلفت في تحديد ماهية الروح الا انها
التقت بالاقرار بوجود الروح كنتيجة افرزتها البحوث العقلية

(١) محمد فريد وجدي / دائرة معارف القرن العشرين ٣٢٨/٤ .

واستدلالاتها. اذا أجمع الفلاسفة على ان الانسان مركب من
البدن والروح ولا فعل لاحدهما الآخر وان الروح من المجردات
والبدن من عالم المادة.

وقال ابن رشد وهو من الفلاسفة المسلمين بالتقسيم
الثلاثي للروح الذي ذهب اليه ارسطو وهو الروح العاقلة، الروح
الغاذية، الروح الحاسة او الحيوانية. وقال ديكارت وهو فيلسوف
فرنسي في القرن السادس عشر الميلادي بالروح العاقلة دون
غيرها وقال بان الروح جوهر اخص صفاته الفكر، والجسم جوهر
اخص صفاته التمدد. واعترف باسكال وهو فيلسوف فرنسي
بالعجز عن ادراك اتحاد الجسم بالروح لان الانسان لم يستطع
معرفة كنه الروح. اما الفلاسفة الماديون فقد ذكروا شبهتين الاولى
ان الفكر وظيفة عضوية كسائر الوظائف البدنية الاخرى، وقال
الاستاذ بنجنز الطبيعي الالماني الفكر نتيجة جميع القوى المجتمعة في
المخ وهذه النتيجة لا يمكن ان ترى بالعين وماهي كما تدل عليه
الظواهر الا اثر الكهربائية العصبية^(١) والثانية انهم لا يصدقون
بوجود شيء الا عند رؤيته او الاحساس به فانهم رفضوا الاقرار
بالروح بسبب عدم الاحساس بها.

لقد اعتمدوا قياسات فلسفية عاجزة عن سبر الواقع
والغور في افاق الحكمة. فبالنسبة للشبهة الاولى فقد حصروا

(١) دائرة معارف القرن العشرين ٤/٣٣٠.

فهمهم للروح بأنها وظيفة من وظائف البدن وما يحتويه من تركيب وقالوا بأنها الفكر. والحال ان الروح غير الفكر. اما الثانية ففيها خلل مركب فليس بالضرورة ان ينحصر التصديق بالرؤيا والاحساس والعقل الانساني المجرد ويقر بالغيب، ومن اهم وظائف الانسان الاعتقادية والاخلاقية هي التصديق بما جاء به الانبياء والمرسلون، والروح آية من عند الله وسره المكنون في خلق الانسان. وسيبقى موضوعها باباً للهداية والرشاد والمعرفة.

وقد اتعب الحكماء انفسهم ببحث واستنتاج ان اعادة المعدوم بعينه ممتعة، وكذا من تبعهم من المتكلمين وان كان أكثرهم على جواز الاعادة ولكن هناك خلل في آلة البحث وطرق الاستنتاج. فالعقل الانساني قاصر عن متابعة مراحل الاعادة التي تعني في الحقيقة غياب الانعدام، فبالنسبة للروح يعتبر الموت مناسبة لخروجها من البدن بل وقيل أنه أستكمال لها، أما البدن وهو موضوع مبحث الاعادة. فإنه في الآخرة ذات بدن الانسان في الدنيا، وذلك بحضور اجزاء المتفرقة واستجابتها لامره تعالى.

روي في الخبر عن سيد البشر لاتزال الخصومة يوم القيامة بين الخلائق حتى تحتصم الروح والجسد فيقول الجسد للروح: انت التي حركتني وامرتني وصرفتني والا انا لم اكن اتحرك ولا افعل شيئاً بدونك. فتقول الروح له وانت الذي اكلت وشربت وتمتعت فانك الذي تستحق العقوبة فيرسل الله سبحانه وتعالى ملكاً يحكم

بينهما فيقول مثلكما مثل مقعد بصير واعمى يمشي دخلاً بستاناً
فقال المقعد للاعمى انا ارى فيه من الثمار ولكن لا استطيع القيام،
وقال الاعمى: انا استطيع القيام ولكن لا ابصر شيئاً، فقال المقعد
تعال فاحملي فانت تمشي وانا اتناول. فعلى من تكون العقوبة؟
فيقولان عليهما. فيقول فكذلك انما^(١).

البرزخ والقضاء عن الميت

لقد اولى المسلمون اهمية خاصة لاستمرار الصلة مع
الاموات، فحرصوا على برهم، وايصال اسباب الثواب لهم
وتعاهد ذكركم والمواظبة على الاستغفار لهم بما يخفف عنهم
العذاب، ويكون مدخلاً للعفو والمغفرة والاحسان، وهم بعملهم
هذا يقرون ويعترفون بوجود عالم البرزخ، وما فيه من احوال،
وحاجة الميت الدائمة فيه الى العمل الصالح ووجوه الثواب.
وبذلك وردت نصوص مستفيضة ومن طرق الفريقين، روي ان
رجلاً من بني سلمة قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول
الله هل بقي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد موتهما؟ فقال عليه
الصلاة والسلام: نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وانفاذ
عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما، واکرام
صديقيهما.

(١) تزيين الاسواق الهامش ٥٨.

واخرج البخاري ومسلم والنسائي (عن ابن عباس انه قال: اتى رجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ان اختي نذرت لان تحج وانها ماتت، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لو كان عليها دين أكت قاضيه. قال: نعم. قال: فحق الله أحق بالقضاء)^(١).

وفي اخبار اهل البيت عليهم السلام وردت روايات كثيرة وشطر منها صحيح سنداً، تدل على القضاء عن الميت وتدارك ما فاته من العبادات منها ما رواه ابن أبي عمير عن حفص بن البحتري عن ابي عبد الله عليه السلام قال: يقضي عنه اولى الناس بميراثه. قلت: فان كان اولى الناس به امرأة. فقال عليه السلام: لا، إلا الرجال)^(٢).

ان القول بالقضاء عن الميت هو المشهور، وانكره ابن ابي عقيل، وقال بالتصدق عنه من ماله او من مال الولي، ونسب القول بالقضاء الى شذوذ، ونسب الصدقة الى التواتر وفي الجواهر (قال: وهو من الغرائب)^(٣).

وقال احمد بن حنبل وبعض اصحاب ابي حنيفة وجماعة من الشافعية بوصول الأعمال او ثواب الانفاق الى الميت بالاهداء والهبة. وقال ابن الهمام: ان مالكاً والشافعي لا يقولان بوصول

(١) أنظر سنن النسائي ١١٦/٥.

(٢) الوسائل ١٧٠/٢، طبعة حجرية.

(٣) جواهر الكلام ٣٥/١٧.

العبادات البدنية المحضة كالصلاة والتلاوة بل غيرها كالصدقة والحج).

وقال بعض الفقهاء بعدم اثابة الانسان بعمل غيره مستندين الى تفسيرهم لقوله تعالى: «وان ليس للإنسان الا ما سعى»^(١). وبها استدل الامام الشافعي بعدم لحوق ثواب القراءة بالاموات.

ولكن ورد عن ابن عباس ان الآية منسوخة بقوله تعالى «والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم»^(٢).

إن الولد الصالح هو في الواقع من سعي الانسان في الدنيا سواء بالاعتبار التكويني او باضافة التعليم والتأديب والتربية لذا ورد في الصحيح ان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال: اذا مات المؤمن انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية او علم ينتفع به، او ولد صالح يدعوله.

فأما ان تكون هذه النصوص مخصوصة، او ان القول بشمول الباب بالعمومات من التمسك بالعام في الشبهة المصدقية.

لقد اثنى الله عز وجل على الذين ذكروا اسلافهم من المؤمنين واستغفروا لهم، مما يؤكد انتفاع الاموات والاحياء معا من

(١) سورة النجم ٣٩.

(٢) الالوسي / روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢٦٥/٨.

الدعاء قال تعالى: ﴿الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان﴾^(١).

وفي السنن عن وائلة بن الاسقع انه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رجل من المسلمين فسمعه يقول: اللهم ان فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك، فقه فتنة القبر وعذاب النار، وانت اهل الوفاء والحق فاغفر له وارحمه وانت الغفور الرحيم. وفي الصحيحين عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من مات وعليه صيام صام عنه وليه^(٢).

لقد اجمع المسلمون على ان قضاء الدين يسقطه عن ذمة الميت ولو كان من التركة او ان المتبرع به اجنبي، لانتفاء الموضوع بالقضاء، ولما ورد من ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رضي بقضاء الامام علي عليه السلام لدين ميت.

فمجموع النصوص يؤكد قبول النيابة في قسمي العبادة البدنية والمالية بالاضافة الى اولوية قضاء العبادات لعموم قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فحق الله احق بالقضاء.

ومن الفقهاء من قيد قضاء الولي عن الميت بما لو تمكن الميت من قضائه وأهمله باعتبار أنه تدارك من قبل الولي لما وجب

(١) سورة الحشر ١٠.

(٢) ابن الجوزية / كتاب الروح ٢٠٣-٢٠٧.

على الميت قضاؤه. فلو أتصل المرض مثلاً حتى الوفاة يسقط عن الولي قضاء ماوجب عيناً مدة المرض، وفي المنتهى نسبه الى العلماء الامافات بالسفر فنه يقضى كما في التهذيب وظاهر الصدوق في المقنع لان السفر من اختبار المكلف وهو ليس قهرياً كامرض. ويدل على ذلك النص ففي خبر منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام: في الرجل سافر في شهر رمضان فيموت. قال: يقضى عنه، وان امرأة حاضت في شهر رمضان فماتت لايقضى عنها، والمريض في شهر رمضان لم يصح حتى مات لايقضى عنه.

هذا بالاضافة الى ماثلته هذه الأعمال من البر بالاموات وصلة الرحم واتخاذ سبل العارفين مسلماً. وقد ورد عن محمد بن مسلم عن الامام محمد الباقر عليه السلام انه قال: ان العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما ثم يموتان فلايقضى عنهما دينهما ولايستغفر لهما فيكتبه الله عاقاً، وانه ليكون عاقاً لهما في حياتهما غير بار لهما فاذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما ليكتبه الله باراً^(١).

انها مناسبة لفعل الصالحات والاحسان عن الفضل بن ابي قرة عن الامام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرّ عيسى بن مريم بقبر يعذب صاحبه، ثم

(١) الوسائل ٣/١٨٤، طبعة حجرية.

مرّبه من قابل فاذا هو لا يعذب، فقال: يارب مررت بهذا القبر عام اول وهو يعذب، ومررت به العام فاذا هو ليس يعذب، فاوحى الله اليه انه ادرك له ولد صالح فاصحح طريقاً واوى يتيماً، فلهذا غفرت له بما عمل ابنه، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ميراث الله عز وجل من عبده المؤمن ولد يعبد من بعده.

الانبياء والموت

الانبياء يلتقون مع أفراد البشر الاخرين بالعبودية لله عز وجل باعتبارها كلياً طبيعياً، ولكنهم يختلفون عنهم بالنبوة وبما خصهم الله عز وجل من البعثة والشرف المؤبد فيبينهم عموم وخصوص من وجه، فكل نبي عبد الله وليس كل عبد الله نبياً.

لذلك شملت الانبياء سنة الموت خاتمة للحياة الدنيا . وفي موتهم بالخصوص درس وعبرة لكل الناس ذلك انه لو كان هناك استثناء من الموت لاستثنى الانبياء والمرسلون فهم عباد الله المخلصون . لذلك اهتم المؤمنون بموضوع وفاة الانبياء وتأريخ وفاة كل منهم . فيؤرخ المسلمون ومعهم التأريخ ملحمة وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منذ بداية شكواه الى حين وفاته وتغسيله وتكفينه والصلاة عليه بتفصيل ووقائع كأنها حاضرة

للمعيان وتوفي وعمره الشريف ثلاث وستون سنة بعد ان ثبت
اركان التوحيد والدعوة الى الله في الارض.

اما بالنسبة للانبياء . فقد ورد عن النبي محمد صلى الله
عليه وآله وسلم ان آدم ابا البشر عاش تسعمائة وثلاثين سنة، وفي
قول ان عمره الف سنة.

وذكر السيد ابن طاوس في سعد السعود من صحف
ادريس: مرض عليه السلام عشرة ايام بالحمل ووفاته يوم الجمعة
لاحد عشر يوماً خلت من المحرم ودفن في غار جبل ابي قبيس
ووجهه الى الكعبة وان عمره عليه السلام من وقت نفخ الروح الى
وفاته الف سنة وثلاثون وان حواء ما بقيت بعده الا سنة ثم
مرضت خمسة عشر يوماً ثم توفيت ودفنت الى جنب آدم عليه
السلام^(١).

وروي ان آدم عليه السلام بعد اطلاعه في عالم الذر
على الانبياء من ولده. رأى ان عمر داود عليه السلام ليس
بالكثير فترحم له ووهب له من مدة عمره المكتوب له ثلاثين
سنة. فلما حان اجله مع طول عمره وحيث حضر ملك الموت
لقبض روحه وكان عمره المحدد معلوماً عنده بعلمه تعالى. فقال:
قد بقي من عمري مدة ثلاثين سنة قال ملك الموت: قد وهبتها في

(١) قصص الانبياء / ٧ .

الذر لابنك داود عليه السلام فهل ترجع في هبتك في هذه النشأة.
فقال آدم عليه السلام انا لا اذكر ما ذكرته.

وفي خبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه جحد
فجحدت ذريته.

وورد في بعض الاخبار ان الله عز وجل امر بالكتابة في
المعاملات بين بني آدم لتكون دليلاً وحجة عند النسيان وعدم
الاقرار وان من وصل رحمه زاد في عمره ثلاثين سنة، ومن قطعه
نقص منه بقدر المدة، ولا يرى صلة بين المسألتين خاصة مع عدم
وضوح السند.

أما نوح عليه السلام فقد كان اطول الانبياء عمراً حيث
بلغ عمره الفين وخمسمائة سنة منها في قومه الف سنة الاخسرين
عاماً، يدعوهم الى الايمان والهدى.

وفي المرض الذي توفي فيه قال استقلالاً لآيامه في الحياة
الدنيا: مارأيت الدنيا الا مثل دار لها بابان دخلت من احدهما
وخرجت من الاخر. وفي رواية انه قال ذلك جواباً على سؤال
لجبرئيل عليه السلام^(١).

اما ابراهيم فقد سأل ربه ان لا يقبض روحه حتى يسأله
ولم يسأله ذلك حتى رأى يوماً رجلاً في غاية الكهولة على هيئة
منكرة يسيل لعاب فمه الى لحيته ويتلخخ به سبلته وقد حضر

(١) مجموعة ورام ١/١١٩.

على ضيافة ابراهيم ومائدته، وكان كلما يضع لقمته في فيه
ويزدردها سقطت الى الجانب الاسفل من ساعته بلا تحليل في
اللقمة على غير اختيار من الرجل. فقال عليه السلام له: يا شيخ
ما حالك وما بالك حتى صرت كذلك. فقال: اني ابتليت بغاية
الهرم والكبر. فزال مني القوة الماسكة والهاضمة والقوى الاخرى
فصرت كما ترى. فقال: هذا اخر الهرم لكل من الورى. قال:
نعم. فاستنكر ابراهيم عليه السلام هذا الحال وسأل حينئذ من
الله الموت والارتحال. وكان الرجل ملكاً اتى اليه على تلك الهيئة.

وفي خبر آخر ان ابراهيم عليه السلام سأل عن عمره
فاخبره بما يزيد على عمر ابراهيم بسنة فاسترجع وقال انا اصير
بعد سنة الى هذه الحالة فسأل الموت من الله سبحانه.

ويمكن التساؤل في دلالة الحديث وسنده وجهة الصدور.
خاصة وان ابراهيم الذي استطاع ان يواجه بمفرده اعلى قوى
الكفر والطغيان لا يصعب عليه ان يميز بين الناس وان احوالهم
مختلفة وان تساوت الاعمار الا على فرض تهيئة اسباب الاجل
ليقتضي الله امرأً كان مفعولاً.

وورد في الخبر ان ابراهيم لم يرض بقبض ملك الموت لروحه في اول
الامر. فقال ملك الموت يا ابراهيم الخليل الا يرضى الخليل بلقاء
الخليل فرضي بعده.

اما بالنسبة لموسى عليه السلام فقد روي انه لم يرض
بقبض روحه حينما جاءه ملك الموت قابضاً، فرجع ملك الموت
الى الله عز وجل قال: رب انك ارسلتني الى عبد لا يحب الموت.
فقال لملك الموت: اتته الى امر ربك فقبضه.

وروي ان الله عز وجل أوحى الى موسى ان ضع يدك
على متن ثور فلنك بكل شعرة دارت يدك عليها عمر سنة فقال
عليه السلام: ثم ماذا؟ فقال: الموت. فقال موسى لملك الموت
اتته الى امر ربك فقبضه.

وهناك من روى ان موسى عليه السلام لطم ملك الموت
في بادىء الامر او وكزه فاعوره فاعطاه الله عينه وارجمه بالوحي
.. إلى آخر الرواية. وهذا بعيد ويحتاج الى دليل.

وفي رواية ان موسى عليه السلام لما لم يطع ملك الموت في
قبض روحه سار ذاهباً في الارض فرأى شخصاً يحفر قبراً، فقال
لم تحفر هذا القبر؟ قال: لواحد من اولياء الله. قال موسى عليه
السلام: فاعينك على حفره. فلما تم الحفر. قال موسى عليه
السلام: فانا ارقد فيه فانظر هل بقي من نقصان لنتمه. فلما رقد
في القبر مستلقياً نزل ملك الموت فقبضه هناك وكان هذا الحافر
واحداً من الملائكة.

وحديث موت سليمان ودابة الارض معروف.

وقد جاء في الخبر انه ما من مسجد بني الاعلى قبر نبي
او وصي نبي فاصابت تلك البقعة رشة من دمه فاحب الله ان
يذكر فيها . لذلك ذهب جماعة الى القول بطهارة دماء الانبياء
بتقريب ان الله لا يحب الرجس وهو امر اعتباري لا يصلح
للاستدلال.

وفي الحديث: ما بين الركن والمقام مشحون من قبور
الانبياء^(١) .

مجالس الفاتحة

تعارف الناس في هذا الزمان على اقامة مجلس فاتحة لمن
يموت من الاهل او الاقارب غالباً ما يكون ثلاثة ايام تتوافد الناس
عليهم لقراءة سورة الفاتحة وتعزيتهم بمصيبتهم واختلف القول فيه،
فالبعض قال بان ذلك بدعة، وبعض تردد في الافتاء خاصة وقد
قوبل بموضوع البدعة . ونفر لم يرى فيه بأساً .

وقبل الخوض في موضوعه ترى ماهي البدعة . البدعة في
الاصطلاح الحدث في الدين مما ليس له اصل في الكتاب او السنة
وانما سميت بدعة لان صاحبها ابتدعها وابتكرها من غير تشريع
جاء بها . وقيل (ان البدعة بدعتان بدعة هدى وبدعة ضلال
فما كان في خلاف ما امر الله به ورسوله فهو في حيز الذم وما كان

(١) مجمع البحرين ٤٨٩، طبعة حجرية .

تحت عموم ما ندب الله اليه وخص عليه او رسوله فهو في حيز المدح^(١). ولكن الذي ندب الله اليه وحث العباد على اتيانه لا يسمى بدعة. بل يعتبر مما له اصل في الشريعة او انه استنبط او استقرأ منها. والخلط في العناوين وعدم الدقة في فهم الحديث وتحديد المصطلح يسبب ارباكاً.

وعلى التعريف المتقدم للبدعة هل ان مجالس الفاتحة بدعة؟ ليس فيها مصداق البدعة بل هي اجتمع لذكر الله بقراءة القرآن وبالاختبار بالموت وهو فرصة للموعظة، ومناسبة لزيارة الاخوان ومواساتهم.

وقد يقال أن مجالس الفاتحة في بعض الامصار تنفق فيها الاموال الطائلة وهذا من الاسراف، ان ذلك لايعني الخطأ في فكرة مجلس الفاتحة، فالاسراف في ذاته مذموم ومنهي عنه، وقد ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه قال حين بلغه استشهاد جعفر الطيار اطعموا آل جعفر ثلاثاً. وما يجري في مجالس الفاتحة عكس ذلك. وتقول ان الذي امر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس على سبيل الوجوب والقاعدة الكلية والسنة، انما كان بياناً للمواساة وانه عمل بانشغال آل جعفر بالمصيبة وهولها بخلاف اهل الميت في هذا الزمان فانهم يستعدون لمستلزمات مجلس الفاتحة.

(١) مجمع البحرين ٣٤٧، طبعة حجرية.

ولا يعني هذا الامضاء العام لمجالس الفاتحة اي يجعلها كلياً
طبيعياً، ولكنه قول لنفي البأس في أصل موضوعها، ثم انها تبقى
مختلفة من بلد الى اخر ومن اسرة الى اخرى سعة وانحساراً
وما يستحق الاشارة هنا هو جعل تلك المجالس مناسبة لاستذكار
الموت والاستعداد له باداء الفرائض وفعل الصالحات وبالاستغفار
للميت (وبالاسناد عن سعيد قال طاوس: ان الموتى يفتنون في
قبورهم سبعاً فكانوا يستحبون ان يطعم عنهم تلك الايام).

في رحاب الدعاء

للامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام دعاء اذا نُعي اليه ميت او ذكر له الموت ورد ضمن ابواب الصحيفة السجادية التي تعتبر احدى ذخائر الفكر الاسلامي بما تضمنته من مفاهيم اسلامية وجسدته من احكام اخلاقية تضي على الحياة الانسانية طابعاً روحياً ذا صبغة ايمانية تساهم في اعانة المسلمين للارتقاء في منازل التقوى وسبل السالكين الى مرضاة الله وطلب محبته وسؤال مغفرته وعفوه والزيد من فضله وهو القائل في محكم كتابه المجيد «ادعوني استجب لكم» .

ويحمل الدعاء الرقم اربعين في تسلسل ادعية الصحيفة السجادية ولاهمية الدعاء وتعلق مفرداته ومضامينه بموضوع الكتاب نسرد نص الدعاء مع شرح فقراته.

اللهم صل على محمد وآله. وأكفنا طول الامل^(١).

١- كفى يكفي كفاية: اذا قام الامر، ويقال: كفاك الشيء يكفيك
واكفيت به.

وأمله يأمله أملاً: رجاء ضد يأس منه. والامل تطلع
الانسان لتحقيق محبوب او حصول غاية في المستقبل.

وطول الامل عنوان يحتاج اليه رجاء الامور الدنيوية
والامل من مدة مديدة ووقت فسيح قد لا تستوفيه ايام حياة
ذلك الانسان. وهو مكروه لسببين: لذاته وللطرق المؤدية اليه
وللاعتبارات الكامنة خلفه. فان الاشتغال الذهني بالمحبوب
والسعي الدائم لتحقيق حصوله يمنع الانسان من اداء ما عليه
من واجبات عبادية او يحول دون اتمامها على الوجه المناسب
والمطلوب حتى ان تلك الاحلام والافكار تداهم العبد في
صلاته فتسبب له الشك والارباك وقلّة الثواب الى جانب
حجبها عن سبيل التوبة والتفكير بوجوب الاستعداد لما بعد
الموت والحاجة للاقبال على الأعمال الاخروية وان استحث له
سبب للتذكير بضرورة التوبة وتهيئة مستلزماتها فانه يؤجل
ذلك ويعرض عنه تسويقاً بلغة الايام ثم الاشهر ثم السنوات
وربما يقول مع تكرار التأخير وتعاقب السنوات الى ان اكثهل
وبعد انقضاء سني الشباب وقد يؤجل التوبة والاستعداد

للاخرة حتى يستطيع الوصول الى بعض من تلك الامال التي
استولت على قلبه وملأت
وقصره عنا بصدق العمل^(٢).

أركان الإرادة والفعل منه وهكذا فكلما ينعم الله عليه بتحقيق
بعض مما اشتغل بالسعي والاجتهاد لانجازه فانه ينتقل الى امر
اخر غيره من الامور الدنيوية لاصطباغ قلبه بالدوام على
التخصص بوظيفة (طول الامل) حتى يغزوه الموت مفاجئاً
ويأتيه بغتة لتطول في الاخرة حسرته ويشتد ألمه، روي إن
أسامة بن زيد اشترى وليده بمائة دينار الى شهر فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وآله
وسلم فقال: الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر ان
اسامة لطويل الامل.

٢- قصر الشيء يقصر قصرًا: انحسر ونقص امتداده، خلاف
طال، وقصرته تقصيراً اذا صيرته قصيراً وليس بطويل.

والصدق تقيض الكذب يقال: صدق صدقاً وتصدقاً أي
قال الحق ونطق بما هو واقع وجاء بالفعل وذات العمل. والباء
للاستعانة.

والعمل هو الفعل الذي يقترن بالقصد وتصاحبه النية فهو
أخص من عموم الفعل. والدعاء سؤال ورجاء للتوفيق الى

العمل الجاد والسعي المخلص الدؤوب لتحقيق الاماني صدقاً
وانجاز ما يخطر بالبال من المشاريع في الواقع ودائرة الامكان
وليكون ذلك النفع والمواظبة على العمل سبيلاً للتخلص
من الاستغراق

حتى لا تؤمل استتمام ساعة بعد ساعة^(٣)

بالاوهام وطول الامل وبذلك يبعث الدعاء اشعاعات ويضع
اسس علاج ما يسمونه اليوم (باحلام اليقظة) ويبين اخطارها
واضرارها اذ يفرغ الامام عليه السلام الى الله عز وجل
مستغيثاً للتخلص منها والنجاة من مضاعفتها .

ان ورود الدعاء بلسان الجماعة يكشف الستار عن
الاثار الاجتماعية البليغة لوجود ظاهرة طول الامل والتشعبات
المتعددة للحالة المنفردة منها الى جانب ما تفرزه من حجب
للعبء عن ذكر الله وعن اداء الطاعات في اوقاتها (عن جريح
عن عطا عن ابي ذر في حديث قال: قلت يارسول الله فما
كانت صحف ابراهيم؟ قال: كانت امثالاً كلها ايها الملك
المبتلى المغرور اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض
ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا اردها وان كانت
من كافر وعلى العاقل ما لم يكون مغلوباً ان تكون له ساعات:
ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة
يتفكر فيها صنع الله اليه وساعة يخلو فيها بحظ نفسه

من الحلال فان هذه الساعة عون لتلك الساعات
واستجمام للقلوب وتفرغ لها.

٣- تسمى (حتى) حرف غاية، لان مابعدا غاية ونهاية لما قبلها
(وقال الازهري: حتى مشددة تكذب بالياء ولا تمال في اللفظ،

وتكون غاية إلى معناها الى مع الأسماء، وإذا كانت مع
الأفعال فمعناها الى ان. ولذلك نصبوا بها الغابر^(١). وأمله
تأميلاً: رجاء وطمع فيه، وتم الشيء يتم تماماً واستتمه وتممه:
انجزه بصفة الكمال والتمام. والساعة مقدار من الوقت وجزء
من الليل او النهار، والعرب تطلقها وتريد بها الحين والوقت،
وقد ورد لفظ الساعة في القرآن ثمان واربعين مرة منها اربعون
رمزاً وعنواناً ليوم القيامة وموعده وزمان حدوثه. وكثير
اطلاقها على كل جزء من اجزاء الليل والنهار البالغة اربعة
وعشرون جزءاً، وكذلك كان المعنى في زمن الائمة عليهم
السلام وانشاء الدعاء او هو قريب منه، كما في الحديث الذي
روي عن الامام محمد الباقر عليه السلام وقد سئل عن اي
ساعة لا من ساعات الليل ولا من ساعات النهار. قال مجيباً:
بأنها ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وهي من ساعات

(١) لسان العرب ١٤/١٦٤.

اهل الجنة . وهذا الوقت المتمد بين الطلوعين يستغرق الساعة
باصطلاح الطبيعيين ومفهوم العرف ويزيد عليها .

ان مزاوله الأعمال كسبيل لتحقيق الغاية والوصول الى
المحبوب يحول دون البطالة ويطرد الكسل ويساهم في استثمار
الوقت وتوظيفه لقضاء حوائج الدنيا والآخرة وللتخلص
من

ولااستيفاء يوم بعد يوم^(٤) .

الانقطاع الى الامل وسرابه بسكون وطمع اجوف .
روي ان احد العباد قال لصاحبه: ما بلغ من قصر املك؟
فقال : املني اذا اصبحت ان لا امسي واذا امسيت ان
لا اصبح . فقال: انك لطويل الامل، اما انا فلاؤمل ان يدخل لي
نفس اذا خرج ولا يخرج لي نفس اذا دخل.

٤- استيفاء الشيء: اخذه وافياً . واتمامه كاملاً .

واليوم معروف وهو الوقت من الزمان المتمد بين طلوع
الشمس الى غروبها واستعمل ايضاً عنواناً لليل مع نهاره من
غير اختصاص بالنهار كما هو شائع في العرف واليوم في الشرع
من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس وقد يعني لفظ اليوم
مطلق الوقت .

وبعد: كلمة دالة على الشيء التالي كما تقول: جاء بعده،
وبعد تقيض قبل. قال الجوهري: وهما اسمان يكونان ظرفين
إذا اضيفا، واصلهما الاضافة.

والفقرة من الدعاء رجاء من التخلص اثار طول الامل
وتأبجه على سلوك الانسان وطريقة تفكيره. فبالاجتهاد
والمواظبة على العمل والفعل المثمر النافع نقطف ثمار ايام
الحياة الدنيا كدار امتحان ونستثمر ما سخر الله لنا فيها في
سعي ودأب

ولأتصال نفس بنفس^(٥).

وفلاح بعيداً عن الكسل والخمول وانتظار المجهول عجزاً
وتقصيراً وقد حثت الشريعة المقدسة على العمل والسعي
ولصلاح الانسان في الدنيا وتحقيق الفوز في الآخرة
والأخبار في ذلك كثيرة (وفي وصيته لابي ذر الغفاري قال
النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم: اياك والتسويق بأملك
فانك بيومك ولست بما بعده فان يكن لك غداً فكن في الغد
كما كنت في اليوم وان لم تكن غداً لم تندم على ما فطرت في
اليوم. يا ابا ذر كم من مستقبل يوماً لا يستكمله ومنتظر غداً
لا يبلغه. . يا ابا ذر لو نظرت الى الاجل وسره لأبغضت الامل
وغروره. يا ابا ذر كن كأنك في الدنيا غريب او عابر سبيل
وعد نفسك من اصحاب القبور. . يا ابا ذر اذا اصبحت

فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك
بالصباح.

ه-الاتصال: ارتباط الاشياء بعضها ببعض . واتصل الشيء
اتصالاً: لم يتقطع .

والنفس: الريح الذي يرد على القلب عبر الانف والفم
ويخرج من خلالهما في عملية الشهيق والزفير . والجمع أنفاس
وكل تروح بين شربتين نفس . وكل ذي رئة مُتَنَفِّسٌ بالضرورة .
وفي الحديث يجزي بين الأذان والإقامة نفس . ويأتي لفظ
(نفس) عنواناً

وَلَا لِحُوقِ قَدَمٍ بِقَدَمٍ^(٦) .

للقرب . ان اشتغال الانسان اليومي بامله البعيد عن الواقع او
التحقيق يضيع عليه فرصة استثمار اجزاء الوقت وساعات
العمر لقضاء حاجات الدنيا وضرورياتها ويجببه عن
الوصول الى المقدار المناسب من الأعمال الصالحة للاقتراب
من ادراك سبل النجاة يوم الفزع الأكبر .

ان الحرص على ذكر النفس في الدعاء بعنوانه الزماني
يظهر اهمية الوقت وحرص الامام عليه السلام على الانتفاع من
جميع اجزائه وفي نهج البلاغة عن امير المؤمنين عليه السلام
قال: نفس المرء خطاه الى اجله (وفي الكافي باسناده عن عبد

الاعلى مولى آل سام قال: قلت لابي عبد الله -الصادق-
عليه السلام قول الله عز وجل ﴿انما نعد لهم عداء﴾ قال عليه
السلام: ما هو عندك؟ قلت: عد الايام. قال: الآباء والامهات
يحصون ذلك ولكنه عدد الانفاس).

٦- لخلق الشيء وألحقه لحوقاً: ادركه متابعة.

والقدم: رجل الانسان من لدن الرُسخ مما يطأ به الارض.
والجمع اقدم.

ان انعامه تعالى علينا بصدق العمل واجتناب طول الامل
يفتح لنا باباً في الحلم والتمهل والتدبير في الامور والتخلص من
آثار العجلة ومضاعفاتها السلبية. ويخلق عند الانسان
سلامة

وَسَلَّمْنَا مِنْ غُرُورِهِ^(٧).

التفكير والرزانة في السلوك ويسهل الطريق لمعرفة الحياة
الدنيا وحقيقة زخرفها ومعاشرتها بالصبر والحكمة
والتوكل على الله والاستسلام لقضائه (عن احمد بن محمد بن
خالد عن بعض من رواه يرفعه الى ابي عبد الله -الصادق-
عليه السلام قال: المؤمن له قوة في دين وحزم في لين وإيمان في
يقين وحرص في فقه ونشاط في هدى وبر في استقامة وعلم في
حلم وكيس في رفق وسخاء في حق وقصد في غنى وتجمل
في فاقة وعفوي في قدرة وطاعة الله في نصيحة واتهاء في شهوة

وورع في رغبة وحرص في جهاد وصلاة في شغل وصبر في شدة، وفي الهزائم وقور، وفي المكاراه صبور، وفي الرخاء شكور، ولا يغتاب ولا يتكبر ولا يقطع الرحم وليس بواهن ولا يفظ ولا غليظ ولا يسبقه بصره ولا يفضحه بطنه ولا يغلبه فرجه ولا يحسد الناس، يعير ولا يعير ولا يسرف بنصر المظلوم ويرحم المسكين، نفسه منه في غناء والناس منه الى راحة، لا يرغب في عز الدنيا ولا يجزع من ذلها، للناس هم قد اقبلوا عليه وله هم قد شغله لا يرمى في حلمه نقص ولا في رأيه وهن ولا في دينه ضياع، يرشد من استشاره ويساعد من ساعده ويكيع عن الخنا والجهل^(١).

٧- سلمه الله من الامر: وقاه اياه وحفظه منه،

وَأَمَّا مِنْ شُرُورِهِ^(٨).

غره يغره غراً وغروراً فهو مغرور وغرير: خدعه واطمعه بالباطل، والغرور: ما غرّ الشخص من انسان او شيطان وكذلك الحياة الدنيا وزينتها.

و(الهاء) في غروره في محل جر بالاضافة. وتعود الى طول العمر اذ يغرّ الانسان ويعجله غارقاً بالاماني الكاذبة ومستسلماً الى الاباطيل التي تكون معظم حظه من الدنيا.

(١) الوسائل ٢/٤٩٤.

قال تعالى: ﴿رَبِّمَا يَؤُودِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ فَذَرَهُمْ
يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْاَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(١).

٨-آمنت غيرك: وفرت له الامن والامان . والامن ضد الخوف .

والشرور: جمع شر وهو السوء والفساد وفعل القبيح .
والشر ضد الخير .

ان طول الامل سبب لانخداع الانسان بالباطيل واتياده
لما تزينه الاماني لترسم على قلبه غشاوة تصده عن ذكر
الاخرة وتمنعه من تمام الانصياع لطاعة الله واداء فرائضه
صحيحة كاملة والمبادرة في ميدان الخيرات والفلاح وفي
الحديث القدسي ياموسى لاتطول في الدنيا املك فيقسولذلك
قلبك، وقاسي القلب مني بعيد.

وانصب الموت بين ايدينا نصبا^(٩) .

٩-نصبه ينصبه نصبا: وضعه ورفعه وجعله قائما منتصبا،
ويقال: مات الانسان يموت موتا ويعدى بالهمزة فيقال: اماته
الله . والموت هو مغادرة الروح للجسد وزوال القوة الحسية
وانعدام الحركة، والموت ضد الحياة .

واصل (بين) ان تكون ظرف مكان كما في المقام، وقد
تكون للزمان وذلك بحسب ما تضاف اليه . ان في ذكر الانسان

(١) سورة الحجر ٣ .

للموت باعتباره نتيجة حتمية وخاتمة وجوبية لايامه في الحياة الدنيا بأمر الهي أزلي دائم في أصناف الخلق وأفراد الجنس البشري يفتح له ابواباً من المعرفة وسبلاً في الهداية وزيادة في البصيرة وتحصناً بالقناعة فيما آتاه الله ويحثه على التعجيل بالتوبة والإنابة والنشاط بأنواع الطاعات واتباع الصالحات من دون ان يكون في هذا الذكر ودوامه واتصاله ظاهراً وباطناً اثر او سبب لتقديم الاجل . ولربما كان نافعاً في اجتناب الاخطار الناجمة من حب الدنيا وركوب الاهوال لنيل زخرفتها والزيادة في متاعها وزينتها مثلما يكون وسيلة للتجاة من عذاب الاخيرة لسعيه على إصلاح ما بينه وبين خالقه، وحرصه على الاستعداد لما بعد الموت لذلك (قال الامام جعفر الصادق عليه السلام: من أكثر ذكر الموت أظله الله في جنته . وقال في حديث اخر: ومن أكثر ذكر الموت احبه الله)^(١) .

وَلَا تَجْعَلْ ذِكْرَنَا لَهُ غَيْبًا^(١٠) .

وللمنافع العاجلة واللاحقة لاستحضار الانسان لعالم ما بعد الموت واثر ذلك في صلاح النفس والمجتمع يتوجه الامام علي بن الحسين في هذا الدعاء بالتضرع الى الله عز وجل لبقاء ذكر الموت يتردد على البال واستعانة به تعالى لمنع غلبة حب الدنيا وهيمته على أنماط السلوك لما يؤدي إليه طول الامل من

(١) الوسائل ٥٠٥/٢، طبعة حجرية .

نسيان للآخرة وتركيز الاهتمام بأمور الدنيا في وقت يخفف فيه ذكر الموت من وطأة المصائب ويجلب الانسان عن الطغيان والإسراف في الغرور.

١٠-الذكر: استحضار الامر في الذهن او جريانه على اللسان يقال ذكره يذكره ذكراً وذُكراً. غب الشيء في نفسه يغب غباً. والغيب: ورد يوم، وظماً آخر، وقيل: هو ليوم وليلتين. (وفي الحديث: اغتَبوا في عيادة المريض وأربعوا)^(١).

اللهم اجعلنا نحرص على استحضار حتمية الموت واحتمال قربهِ وتوقع حدوثه وحلول موعد الاجل في كل ساعة ولا تجعل ذكره يأتي متباعداً في زمانه او يمر سريعاً لان غيابه شبه الدائم عن الذهن يجعل تأثيره ضعيفاً ويفقد الانسان فرصة وسلاحاً وعوناً على مراجعة النفس وضبط السلوك وفق الحاجات الضرورية. (قال الامام عليه السلام: أكثروا من ذكر هادم اللذات

واجعل لنا من صالح الأعمال عملاً نستبطن معه المصير اليك^(١١)).

فأنه ما ذكره أحد في ضيق الاوسع عليه ولا في سعة الا ضيقها عليه).

(١) لسان العرب ١/٦٣٦.

١١- صلح يصلح صلاحاً وهو صالح: ما فيه الخير والفلاح
واسباب الرشاد . نقيض فاسد . وربما كانوا بالصلاح عن
الشيء الذي هو الى الكثرة .

وبطأ في مشية يبطؤ بطأً وبطاءً وأبطأً وتباطأً وهو بطيءٌ:
تأخر وتخلف في الفعل . واستبطأته: رأته واحتسبته بطيئاً .
وصار الامر الى كذا يصير صيراً ومصيراً وصيرورة: رجع
وانتهى .

اللهم وفقنا لفعل الصالحات واتيان الافعال التي توصل الى
مرضاتك تكون سبيلاً لنيل جزيل الثواب في الآخرة وتبعث في
النفس طمأنينة واستعداداً ليوم الحساب وشوقاً الى حسن
الجزاء وكريم العطاء في دار النعيم قال امير المؤمنين عليه
السلام في خطبة له: (فاعملوا والعمل يرفع . والتوبة تنفع،
والدعاء يسمع . والحال هادئة والاقلام جارية، وبادروا
بالاعمال عمراً ناكساً، ومرضاً حابساً او موتاً خالساً فان
الموت هادم لذاتكم، ومكدر شهواتكم، ومباعد
طياتكم . . . الى أن يقول: فعليكم بالجد

وَنَحْرُصْ لُهُ عَلَيَّ وَشَكِّ اللَّحَاقِ بِكَ^(١٢) .

والاجتهاد والتأهب والاستعداد، والتزود في منزل
الزاد^(١).

١٢ حرص عليه يحرص حرصاً: رغب فيه طمعاً. والحرص:
شدة الارادة والشه الى المطلوب.

والوشيك: السريع والقريب: وشك وشاكّة ووشك
وأوشك.

ولحق الشيء وألحقه وكذلك لِحِقْ به والحق لِحاقاً:
ادركه. والمصدر اللحاق.

اللهم اهدنا واصلحنا لاداء الفرائض وفعل الصالحات التي
نطمع معها بالانتقال المحتوم الى الدار الآخرة، والخلاص من دار
الدنيا بفلاح وسداد ونجاح في امتحانها واجتياز

لابتلائها وسلامة من غرورها واغوائها. قال امير المؤمنين عليه
السلام في خطبة له: فسابقوا رحمكم الله الى منازلكم التي
أمرتم ان تعمروها. والتي رُغِبْتُمْ فيها ودُعِيتُمْ اليها. واستتموا
نعم الله عليكم بالصبر على طاعته والمجانبة لمعصيته فأن غداً
من اليوم قريب. ماأسرع الساعات في اليوم، واسرع الايام في
الشهر، واسرع الشهور في السنة، واسرع السنين في العمر^(٢).

(١) نهج البلاغة / شرح الشيخ محمد عبده ٢/٢٢٣-٢٢٤.

(٢) ن.١٢٨/٢.

حتى يكون الموتُ مأنسنا الذي نأنسُ به^(١٣). ومأنسنا الذي نشتاقُ
إليه^(١٤).

١٣- حتى جاءت للاتهاء وهي مرادفة لـ (الى) وهي مما يضمر
بعدها (أن) فيكون معناها الدوام، وانس به يأنس أنساً:
سكن قلبه اليه مطمئناً من غير نفور. والمأنس: الموضع الذي
يأنس به الانسان. ان الموت بأعباره خاتمة للحياة الدنيا
وبداية للفراق الابدي مع الاحبة، وعنوان الحرمان من اعتاده
الانسان من متاع الدنيا ونعيمها امر صعب مستصعب لايهون
وتخفف وطأته الا عندما يمتلأ الانسان ايماناً ويتطلع الى عالم ما
بعد الموت مجتهداً بالاستعداد له مسارعاً الى الأكتار من
الصالحات لتمتلاً صحيفته منها. وليصبح الموت وساعته
مدخلاً كريماً لحياة سرمدية في دار النعيم ومن كلام لامير
المؤمنين عليه السلام قال: والله لابن ابي طالب انس بالموت من
الطفل بثدي امه.

١٤- الفت الموضع أولفه أيلافاً وألفت الشيء اذا أنست به.
والمأنس: موضع أنس الانسان وما يأنسه ويسكن اليه.
وشاق اليه وتشوق واشتاق اشتياقاً: مالت نفسه الى
الشيء رغبة فيه وحباً.

اللهم اجعل الموت محطة للنفوس لتسكن اليه . وتنزع للقائه
اذا جاء ذكره على اللسان او شاهدا من دروسه
وعبره . واجعل
وحامتنا التي نحبُّ الدُّنُوَّ منها^(١٥) .

العواطف تهيج شوقاً للنعيم الاخروي عند حضور صورته في
الذهن او عند جريان ذكره .

ان عدم النفور من الموت وغياب الفزع عن الانسان حين
ذكره يحتاج الى درجة عالية من التقوى وارتقاء في سلم الهداية
ومنازل الايمان ووثوق بما اعد الله لعباده الصالحين . لذلك يأتي
الدعاء بالتضرع الى الله عز وجل وسؤال نزوع النفوس الى
الموت باعتباره موضع انسها . ومن كلام لامير المؤمنين عليه
السلام قبل موته: والله ما فجئني من الموت وارد فكرهته
ولاطالع انكرته وماكنت الا كغارب ورد وطالب وجد وما عند
الله خير للابرار .

١٥-الحامة: خاصة الرجل من اهله وولده وذوي قرابته ممن يتبادل
معهم الشفقة والود والعطف وفي الحديث: اللهم هؤلاء أهل
بيتي وحامتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً^(١) .
ودنا منه يدنو دُنُوًّا ودناوةً: قَرَبَ .

(١) لسان العرب ١٢/١٥٣ .

اللهم اجعلنا نميل الى استحضار امر الموت بشوق ورغبة
من غير نفور ولا محاولة للاعراض والتجافي. ونستسلم برضا
وقبول لما تفعله الايام في تعاقبها من تقريب لساعة الوفاة
وموعد مغادرة الحياة الدنيا لكي لانحرص على التعلق بمجائنها
والانقطاع اليها (قال الامام علي بن الحسين عليه السلام:
وليس يعرف تصرف أيامها
فإذا أوردته علينا، وانزلته بنا^(١٦)).

وتقلب حالاتها وعاقبة ضرر فتنها الا من عصمه الله
ونهج سبيل الرشاد وسلك طريق القصد ثم استعان على ذلك
بالزهد والفكر واتعظ بالصبر وزهد في عاجل بهجة الدنيا
وتجافى عن لذتها ورغب في دائم نعيم الاخرة وسعى اليها
سعيها^(١).

١٦- وَرَدَّ الْمَاءَ وَغَيْرَهُ وَرَدًّا وَوَرُودًا وَوَرْدًا عَلَيْهِ: اشرف عليه،
دخله او لم يدخله. قال الجوهرى: ورد فلان وروداً، حضر:
واورده غيره واستورده اي احضره.

والنزول: الحلول. وقد نزل عليهم ونزل بهم ونزلهم ينزل
نزولاً ومنزلاً. وانزله غيره واستنزله بمعنى.

(١) الوسائل ٥١٩/٢، طبعة حجرية.

وما ان الفاء في (فاذا) استئنافية جاءت للترتيب الذكري
واذا ظرفية شرطية غير جازمة وهي في هذا العنوان ظرف
للزمان المستقبل فيكون المعنى سؤالا وتضرعا لبيان الحاجة
والحالة الشخصية المناسبة عند حلول موعد مغادرة الدنيا
وحضور ملك الموت واعوانه وقدم الموت الذي وصفه الامام
علي عليه السلام بالغائب المنتظر.

فأسعدنا به زائراً^(١٧). وآنسنا به قادماً^(١٨).

١٧- الفاء: رابطة لجواب الشرط لان الجواب يدل على الطلب.
والسعد: اليمن وهو تقيض النحس. يقال: سَعِدَ يَسْعَدُ سَعْدًا
وسعادةً فهو سعيد. وقد اسعده الله اي وفقه واعانه وصيره
سعيداً.

والباء: للسببية.

وزائراً: حال منصوب من الضمير (الهاء) المجرور. وهو
اسم فاعل من زاره يزوره زيارة وزوراً وزوارة اي قصده
وعاده وحل ضيفاً عليه.

اللهم اجعلنا نستقبل الموت ورسله بسرور وغبطة وسعادة
باعتباره بداية لدخول النعيم الاخروي وساعة اقتطاف ثمار
الاجتهاد في العبادة والحرص على اختزان الصالحات.

١٨- انسته بكذا ايناساً: وفرت له مايسكن اليه ويستبشر به ولاينفر منه. وقادم: اسم فاعل من قدم قدوماً اذا قصد. وقدم فلان الى امر كذا اي تعمده وقصد له. وقدم من سفره يقدم قدوماً ومقدماً فهو قادم: آب. ولابد لكل انسان ان يأتيه الموت زائراً ويقدم إليه بعد فسحة من العمر عند انقضاء مدته في الحياة الدنيا لايمنعه حجاب ولايصدّه حاجز ولايسأل الاذن لانه لايجتاج اليه فهو عمل ملكوتي بمشيئة الالهية. لذا يجب الاستعداد له بالعمل ولاتشقنا بضيافته^(١٩).

الصالح وإتيان العبادات وفعل الصالحات التي تكون مستلزمات واسباب السعادة الروحية عند دنو الاجل وساعة دخول عالم الجزاء.

١٩- الشقاء: الشدة والعسرة ضد السعادة. شَقِيَّ يشقى شقاً وشقاءً وشقاوةً وشقوةً. وضفت الرجل ضعيفاً وضيافةً: ملتُ اليه ونزلت به ضعيفاً. ان تشبيه الموت بالضعيف استعارة لما يحتاجه حلول الضيف ونزوله من مفردات الأكرام واعداد مايجتاج اليه.

ان التمثيل بالضيافة بيان ودليل على اهمية السخاء والكرم عند آل بيت النبوة ووجوبه لكل من يأتي زائراً ووفق ما يناسب مقامه حتى بالنسبة للموت الذي يأتي قابضاً عاجزاً

يجد واخلاص على اتزاع الروح ، حازماً في وجوب مغادرة
الحياة الدنيا طوعاً او كرهاً . وسواء استقبل او لم يُستقبل،
اخبر عن قرب مجيئه بمرض او اصابة او جاء مفاجئاً وعلى
حين غفلة فيكون الشقاء مجلوله من نصيب اولئك الذين لم
يستعدوا له بالتقوى والعمل الصالح ولم يبادروا الى الاستغفار
والتوبة النصوح.

وفي خطبة لامير المؤمنين عليه السلام يصف الذين ينزل
بهم الموت قائلاً: اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت .
ففرت لها اطرافهم، وتغيرت لها الوانهم، ثم ازداد الموت
فيهم ولوجاً .

ولا تخزنا بزيارته^(٢٠) .

فحيل بين أحدهم وبين منطقه، وانه ليين اهله ينظر ببصره
ويسمع باذنه على صحة من عقله وبقاء من لبه، يفكر فيم
افنى عمره، وفيم اذهب دهره، ويتذكر اموالاً جمعها اغمض
في مطالبها، واخذها من مصرحاتها ومشتهياتها، قد لزمته
تبعات جمعها، واشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون
فيها ويتمتعون بها . فيكون المهناً لغيره، والعبء على ظهره .
والمرء قد علقت رهونه بها، فهو يعرضُ يده ندامةً على ما
اصحر له عند الموت من امره.

٢٠- الخزي: الهوان والذل والفضيحة بالسوء، يقال: خزي الرجلُ
يخزي خزياً .

والباء: للسببية .

وزاره يزوره زوراً وزيارة: عاده وحلّ بساحته .

والدعاء سؤال للاعانة على الاستعداد لقدوم الموت
ومجيئه بصالح الأعمال وحسن التهيء للاخرة بالتزود من التقوى
والمبادرة الى التوبة والانابة فان حلول الموت واوان الاجل أثناء
ركوب السيئات وارتكاب الفواحش ومن غير استعداد له
باداء الفرائض والواجبات العبادية مجلبة للذل والهوان، وسوء
العاقبة، والفضيحة بين الخلائق يوم لاينفع المرء الا ما قدمت
يداه .

وأجعله باباً من أبواب مغفرتك^(٢١) .

وقد جاء القرآن بالانذار والتحذير من الخزي في دار الدنيا
وكذلك في الاخرة ووجوب اجتناب ما يؤدي الى ذلك وكيف ان
الانبياء والصالحين يتضرعون الى الله عز وجل طلباً للنجاة من
الخزي يوم القيامة ويسألونه اتصال العز ودوام النعم . قال تعالى:
﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم

وبإيمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير ﴿١﴾ .

٢١- (جعل) من افعال الشروع والانشاء والبدء بالفعل وكأن معناه في الاصل (أوجد)

والباب: الموضع الذي يجري الدخول منه الى المكان كباب البيت وباب المدينة. والجمع ابواب وبيبان. ثم تجوز فيه ليشمل ما يتم به التوصل الى الشيء. وابواب مغفرته تعالى هي الطرق التي يتعين سلوكها لتكون سبيلاً للحصول على العفو والفوز بالمغفرة الإلهية.

ولما كان الموت بعنوانه المجرد المحتوم امراً يلججه كل الناس على اختلاف مللهم واعمالهم وعالمهم مستقلاً بملاكه وخصوصياته قد لا يهمل الانسان وقتاً كافياً للانابة والتوبة فانا نغتنم الفسحة من العمر لسؤال الامهال واطاحة الفرصة عند حلول الموت بتقدم
وَمِفْتَاحاً مِنْ مَفَاتِيحِ رَحْمَتِكَ ﴿٢٢﴾ .

انذاراته وعلاماته ورسله بغية استثمارها بالاستغفار والوصية ورد المظالم والوفاء بالحقوق الشرعية، عن الامام جعفر الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في اهل بيته اذ قال:

(١) سورة التحريم ٨ .

احب يوسف يستوثق لنفسه فقيل: بماذا يارسول الله؟ قال:
لما عزل له عزيز مصر لبس ثوبين جديدين نظيفين وخرج الى
فلاة من الارض فصلى ركعات فلما فرغ رفع يده الى السماء
فقال (رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث
فاطر السموات والارض انت ولي في الدنيا والاخرة)^(١). قال:
فهبط اليه جبرئيل فقال له: يا يوسف حاجتك. فقال: ربّ
(توفني مسلماً وألحقني بالصالحين)^(٢) قال الامام الصادق عليه
السلام: خشي الفتن^(٣).

٢٢-المفتاح: آلة فتح الباب وكل مستغلق، ومفاتيح جمعه. والفتح
نقيض الاغلاق. فتحه يفتحه فتحاً وافتحه فانفتح. وهو آلة
الوصول الى المخزون والمغلق مما يصعب استخراجة. والجمع
مفاتيح ومفتاح وفي القرآن الكريم ورد ذكر (مفتاح) في ثلاثة
مواضع احدها في الغيب وخزائنه وعلومه^(٤). والآخران في
المعنى

أمتنا مهتدين غير ضالين^(٢٣).

(١) سورة يوسف / ١٠١.

(٢) سورة يوسف / ١٠١.

(٣) تفسير سورة يوسف للمؤلف / ١٢٧.

(٤) انظر سورة الأنعام / ٥٩.

الحقيقي المتعارف للمفتاح^(١). واستعمالاته في الولوج الى داخل الدار بفتح بابه والوصول الى اموال مخزونه ولها باب مغلق.

ومن اسماء الله الحسنی: الفّاح فهو الذي يفتح على عباده ابواب الرزق الكريم والرحمة الواسعة وينعم عليهم بالهداية سبيلاً للنيل منها. نسأله تعالى ان يكون الموت طريقاً للحصول على مغفرته وأماناً من عذابه وسخطه ومناسبة تغشانا خلالها رحمته وسحائب عفوه (وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في حديث: اني نازلت ربي في امي فقال لي ان باب التوبة مفتوح حتى ينفخ في الصور^(٢)).

٢٣- مات يموت موتاً، ويمات، الاخيرة طائفة وأماته الله وموته: شدد للمبالغة. ولفظ الميت يستوي فيه المذكر والمؤنث، والموت خلق جعله الله نهاية وخاتمة لايام الانسان في الحياة الدنيا وبداية لدخوله الحياة الاخرة وولوجه عالم البرزخ ليبدأ مراحل الحساب الخالية من العمل الاعمالاً جاء به معه من الحياة الدنيا يكون له يوم القيامة سلاحاً اذا كان صالحاً. ويكون العمل عوناً عليه وشاهداً ان كان قبيحاً سيئاً.

(١) سورة القصص ٧٦.

(٢) الوسائل ٥٢٩/٢، طبعة حجرية.

والهدى: الرشاد ضد الضلال. وقد هداه هُدىً وهدياً وهداية. قال ابن منظور (وهدى واهتدى بمعنى) (١). ولكن الاهتمام له معان أخرى تتعلق بالقصد والسعي إلى الهدى وطلب وتحري الهداية وملازمتها واتخاذها منهجاً ودليلاً قال تعالى: ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ (٢). و(غير) كلمة ترمز إلى مفهوم المغايرة واصلها أنها صفة تفيد مغايرة مجرورها لموصوفها. والمغايرة إما أن تكون بالذات أو بالصفة كما في المقام.

وضالون: جمع ضالّ نقيض مهتدي يقال: ضلّ يضلّ ضلالاً وضلالة: لم يعرف طريق الهداية والرشاد.

والفقرة من الدعاء سؤال لحسن العاقبة وحلول ساعة الاجل والنفس ممتلئة بالايمان مستقبلة للموت بالتوبة والثبات على الحق ومعرفة طريقه واحكامه. (عن ابي حمزة الثمالي قال: كان على بن الحسين يقول ابن ادم انك لاتزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك وما كانت المحاسبة من همتك وما كان الخوف لك شعاراً والحزن لك دثاراً، ابن ادم انك ميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله فأعد جواباً) (٣).

(١) لسان العرب ١٥/٣٥٤.

(٢) سورة النمل / ٩٢.

(٣) الوسائل ٢/٥٣٠، طبعة حجرية.

طائعين غير مُستكرهين^(٢٤).

٢٤- طائعون: جمع طائع. يقال: أطاعه اطاعة اي اتقاد له ولان وخفض له الجناح واستجاب لامره.

ومستكرهون بصيغة اسم مفعول: جمع مستكره وهو الذي يُكره على اداء فعل، وقد كرهه كرهاً وكُرْهاً وكراهة وكراهية ومكرهاً ومكرهةً.

اللهم اجعلنا نستقبل الموت برداء الطاعة وزينة الانقياد لاوامرك فلانغادر الحياة الدنيا الا بالالتزام التام باداء الفرائض والاقرار القلبي الثابت بمبدأ التوحيد والشهادة بصدق النبوة بغير اكراه او ارغام للنفس، لان حملها على الامور كارهة مستكرة يؤثر سلباً في اداها واخلاصها والله عز وجل يعلم السرائر وخفايا النفوس (عن الهيثم بن واقد الجزوي قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: ان الله عز وجل بعث نبياً من انبيائه الى قومه واوحى اليه ان قل لقومك انه ليس من اهل قرية ولاناس كانوا على طاعتي فاصابهم فيها سراء فتحولوا عما احب الى ما اكره الا تحولت لهم عما يحبون الى ما يكرهون وليس من اهل قرية ولا اهل بيت كانوا على معصيتي فاصابهم فيها سراء فتحولوا عما اكره الى ما احب الا تحولت لهم عما يكرهون الى ما يحبون، وقل لهم ان رحمتي سبقت غضبي فلا تقنطوا من رحمتي فانه لا يتعظم عندي ذنب

اغفره، وقل لهم لاتعرضوا معاندين لسخطي ولا يستخفوا
باوليائي فان لي سطوات عند غضبي
تائبين غير عاصين^(٢٥).

لايقوم لها شيء من خلقي^(١).

٢٥- تائبون: جمع تائب وهو الراجع عن الذنب والنادم على
ماسبق من فعله للسيئات وارتكابه الاثام، وتاب الى الله يتوب
توبة وتوباً ومتاباً: اناب ورجع عن المعصية الى طاعة اوامر
الله.

وعاصون: جمع عاص. وعصى فلان اميره يعصيه عصياً
وعصياناً ومعصية اذا لم يطعه، فهو عاص وعصياً. والعصيان
خلاف الطاعة.

والفقرة من الدعاء سؤال للاستصلاح للموت وما يليه من
عالم واهوال تكون التوبة فيها سلاحاً وشفيعاً والانابة فيها نوراً
وسبيلاً لنيل رحمته تعالى، وفي اسمائه الحسنى (التواب) فهو
الذي يقبل التوبة ويهدي اليها ويصلح النفوس لاتخاذها منهجاً
وحرزاً وظهيراً للعزيمة على ترك الذنوب وعوناً على اجتناب
ارتكابها وعدم المعاودة اليها. وهو الذي يخلق في النفوس
حالة من الندم والغم لما اجترأت عليه من السيئات تبرز

(١) الوسائل ٥٠٩/٢، طبعة حجرية.

عندها نامية متصلة مؤثرة بإيجاب ملكة التحرز من الآثام
والحرص الواعي على الابتعاد عن الذنوب ومواطنها والأسباب
المؤدية اليها .

ولامُصْرَبِينَ^(٢٦) .

إن إدراك العبد لحقيقة المعاصي باعتبارها طريقاً تؤدي به
الى النار يملئ عليه التفكير بحكمة والسعي يجد لاجتنابها
وضرورة اتخاذ اليقظة والحذر والحيطه من اسبابها والمنافذ
المؤدية الى ارتكابها مع لزوم التسليح بالايمان لمواجهة اغواء
أبليس واتخاذها عدوا . وتلك مهام صعبة وتستلزم تسخير
الجوارح والمقدرة ومنع النفس عن الهوى وحجبها عن سوء
الامر الذي يدفع بالعبد المؤمن للتوجه الى الله عز وجل لسؤال
الهداية والرشاد والانعام عليه بالانابة والتوبة كي لا يأتي من
يشهد عليه بشيء من الذنوب حتى يلقاه تعالى . (عن ابي
بصير قلت لابي عبد الله -الصادق- عليه السلام: (يا ايها
الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً)^(١) . قال : هو الذنب
الذي لا يعود فيه ابداً . قلت: وآينا لم يعد . فقال: يا ابا محمد
ان الله يحب من عباده المفتن التواب)^(٢) .

(١) سورة التحريم / ٨ .
(٢) الوسائل ٢/٥٢٧، طبعة حجرية .

٢٦- اصل الاصر: الثقل والشدة ثم اطلق على الارادة والعزيمة على البقاء على الشيء وملازمته وان كان ذلك بعناد وضيق ومن ذلك دوام ارتكاب الذنوب وقيل ان الاصر هو الاثم والعقوبة للغوه وتضييعه عمله. يقال: اصر الشيء يأصره أصراً: حبسه. والاصرار على اتيان الذنوب هو الإقامة عليها من دون استغفار ولاظهار للندم أو ذم لذات الفعل فيكون الاثم بذلك

ياضامنَ جزاءِ المحسنين^(٢٧).

مركباً وباباً لاغواء الاخرين وتحمل قسط من أوزارهم يلحق بعضها بالإنسان بعد موته.

لقد تضرع الامام علي بن الحسين عليه السلام الى الله عز وجل سائلاً مستغيثاً من حالات استمرار ركوب الذنوب واقتراف السيئات وراجياً توفر ملكة الإنابة والتوبة وسرعة الاستجابة للطاعات وقبول النصيحة.

وفي الوسائل باب مستقل عنوانه (تحريم الاصرار على الذنب ووجوب المبادرة بالتوبة والاستغفار) عن جابر عن الامام محمد الباقر عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿ولم يَصْرُوا عَلَى مَافَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال: الاصرار ان يذنب الذنب فلايستغفر الله ولايحدث نفسه بالتوبة فذلك الاصرار. وفي ذات الباب (عن الامام جعفر بن محمد عن ابيه عليهما

السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من اذنب ذنباً وهو ضاحك دخل النار وهو باكي^(١).

٢٧- (يا) حرف نداء وجاء الاسم المنادى بعدها منصوباً لانه مضاف. ضمن الشيء وبه ضمناً وضماناً فهو ضامن وضمن اي كافل وكهيل. والشيء مضمون.

والجزاء: المكافأة على الشيء ويكون ثواباً ويكون عقاباً (قال الجوهري: جزيته بما صنع جزاءً وجازيته بمعنى. وقال الفراء: لا يكون جزيته الا في الخير وجازيته يكون في الخير والشر)^(٢). والظاهر رجحان استعمال جزيته في الخير ايضاً خاصة وان القرآن جاء بآية جامعة للشواب والعقاب بقوله تعالى: ﴿ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب﴾^(٣) هذا الى جانب تخصيص كل من العنوانين بأكثر من آية. قال تعالى: ﴿ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾^(٤).

وقرينة المقام وصيغة الدعاء والتضرع بلسان السؤال وطلب الاجر والافضال والاحسان والتوسل اليه تعالى باحب

(١) الوسائل ٥١٣/٢، طبعة حجرية.

(٢) لسان العرب ١٤٣/١٤-١٤٤.

(٣) سورة ابراهيم / ٥١.

(٤) سورة النجم / ٣١.

الاسماء اليه يؤكد ان (الجزاء) في المقام هو الثواب والمكافأة على فعل الطاعات واتيان الصالحات. يقال: جزاه به وعليه جزاءً. وجزاه مجازاة وجزاءً.

والمحسنون: جمع محسن وهو الذي يبادر الى اتيان الطاعات ويسارع الى الخيرات ويجتهد في قضاء حوائج الاخرين ويتصدى لابواب الإحسان. ولم ترد في القرآن الا بلغة الجمع واثى الله عز وجل عليهم في مواضع منه ووعدهم بمحسن الجزاء وبشرهم بالثواب وعظيم الأجر. **وَمُسْتَصْلِحَ عَمَلِ الْمُفْسِدِينَ** ^(٢٨).

والفقرة من الدعاء توسل بلسان المدح والثناء اضافة الى اظهار الثقة بوعده تعالى لاهل الصالحات والاطمئنان المقرون بالامل وروح التوكل عليه تعالى فهو الذي يتعاهد مايعمله العباد من الطاعات واعمال البر فينتيها ويضاعف اجرها. (وفي حديث للامام محمد الباقر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب علي عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال على منبره: والذي لاله الا هو ما اعطي مؤمن قط خير الدنيا والاخرة الا بحسن ظنه بالله ورجائه له. . الى ان قال صلى الله عليه وآله وسلم: والذي لاله الا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله الا كان الله عند ظن عبده المؤمن لان الله كريم بيده

الخير يستحي ان يكون عبده المؤمن قد احسن به الظن ثم
يخلف ظنه ورجاءه فاحسنوا بالله الظن وارغبوا اليه^(١).

٢٨- الاستصلاح تقيض الاستفساد . يقال صلح يصلح صلاحاً
وصلوحاً فهو صالح وصلح . ومعنى مستصلح في المقام أمرهم
بالصلاح ومعينهم عليه وهاديهم الى اسبابه . وقد ورد في
رواية لادعية الصحيفة (مصلح) بدل مستصلح من اصلح
الشيء اذا جعله مستقيماً وحسناً في سلامة.

والمفسدون: جمع مفسد وهو مصدر ميمي حيث (يجيء
المصدر من الثلاثي المجرد وايضاً على مفعل قياساً مطرداً)^(٢) .
والفساد تقيض الصلاح . يقال فسد يفسد وفسد فساداً
وفسوداً فهو فاسد) والمفسدون هم الذين يعملون
السيئات ويأتون بالقبيح من الافعال ويشيعون المنكر ويسعون
عامدين او من غير عمد في الاضلال بالقيم الاخلاقية الراسخة
والمبنية على اعتبارات عقائدية مستنبطة من الاحكام
السماوية والكتب المنزلة ويعيئون في الارض فساداً.

لقد وسعت رحمة الله كل شيء فقد انزل الكتب
السماوية وبعث الانبياء والرسل من اجل اصلاح بني آدم،

(١) الوسائل ٢/٤٩٩، طبعة حجرية.

(٢) الاسترأبادي / شرح شافية ابن الحاجب ١/١٦٨ .

وأمرهم بالمعروف وحبب اليهم فعل الخيرات ونهاهم عن المنكر وكثره اليهم الفساد والفسوق وتعاهد اليهم الاسلام ديناً باقياً على سطح الارض حتى يوم القيامة وجعل مناهل وروده عليهم سهلة ميسرة. فليس من بيت الا ويعرف اهله الاسلام وبعض الحقائق عنه، وتحمل الايام في تعاقبها انباءً واكتشافات علمية جديدة عن الاسرار الغيبية للمنافع العظيمة للبشرية - افراداً وجماعات وامماً- الكامنة في احكام الشريعة الاسلامية والمدلولات الاعتبارية الرفيعة في تنظيم الحياة الاسرية والمعاملات التجارية وغير ذلك من انماط السلوك

الاجتماعي وليكون ذلك واقية لبني آدم ولحجبهم عن اعمال الفساد التي حُصرت في حضيرة النواهي يشب الصغير على اجتنابها والحذر منها ويشيب الكبير على الازدراء منها ومن يرتكبها ويجتهد في الاستغفار مما اتاه من ابوابها ذلك ان الاستغفار طريق اخر فتحه الله للتوبة والصلاح والهداية وفي ذلك عبرة ودرس وموعظة للآخرين. وحتى الرؤيا الصالحة تأتي احياناً رادعة زاجرة ولطريق الحق هادية. ان افاضات لطفه تعالى وابواب توفيقه لعباده متعددة ومتنوعة يعجز عن احصائها كما وانها متصلة في ازدياد.

وليس في الفقرة من الدعاء ما يناه في المعنى والتفسير لقوله تعالى: ﴿ان الله لا يصلح عمل المفسدين﴾^(١) ذلك ان عدم الاصلاح في الآية هو عدم الاكثار وخلاف الامضاء والاثبات. وبطله ولا يديمه (وربما كنوا بالصلاح عن الشيء الذي هو الى الكثرة)^(٢). وعن محمد بن سنان عن اخبره عن الامام جعفر الصادق عليه السلام في حديث ملخصه ان ابا ليس احتال على عابد من بني اسرائيل حتى ذهب الى فاجرة يريد الزنا بها. فقالت له: ان ترك الذنب يسر من طلب التوبة وليس كل من طلب التوبة وجدها فانصرف وماتت من ليلتها فاصبحت واذا على بابها مكتوب

احضروا فلانة فانها من اهل الجنة فارتاب الناس فمكثوا ثلاثاً لا يدفونها ارتياباً في امرها. فاوحى الله الى نبي من الانبياء ولا علمه الا موسى بن عمران ان ائت فلانة فصل عليها ومر الناس فليصلوا عليها اني قد غفرت لها واوجبت لها الجنة بتبئتها عبدي فلاناً عن معصيتي^(٣).

واليوم الآخر هو يوم القيامة والظاهر ان الآخر اعم منه، ويبدأ من دخول الإنسان الى القبر وانتقاله الى عالم البرزخ، والآية في

(١) سورة بونس / ٨١ .

(٢) لسان العرب ٥١٦/٢ .

(٣) الوسائل ٥٣٤/٢ .

مفهومها رد وردع للأفكار المادية التي تحصر اهتمامها بما تدركه الحواس اذ انها تدعو للإيمان بالغيب والاستعداد للحساب بالعمل الصالح.

ومن اسمائه تعالى ﴿الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾^(١)، فهو الباقي بعد فناء الأشياء من غير ان يطرأ عليه التغيير او التحول، أما اليوم الآخر فقد اجمع المسلمون بل المليون على حتمية حدوث اليوم الآخر والمعاد الجسماني، ووصفه بالآخر لتأخره في الرتبة الزمانية على ايام الحياة الدنيا، لأنه يبتنى على الحياة الدنيا كمدار تكليف، ولعله لانعدام حساب الايام بعده لاتصال اسباب الخلود وللأخبار والحث على الاستعداد فلا فرصة اخرى للانس بعد، فاذا ورد لفظ الثاني فيه دلالة على وجود فرد ثالث او ثالث ورابع وهكذا، اما اذا ورد لفظ الآخر - بفتح الحاء - فيفيد عدم وجود فرد بعده، والا فان معالم اليوم الآخر الأساسية موجودة الآن وهي متقدمة في الشرف والحدوث، فالجنة والنار مخلوقتان وهو المشهور شهرة عظيمة بين المتكلمين وعليه نصوص عديدة وان انكر وجودهما جمع من المليون، ولا عبرة بقول من نظر الى الإنسان ككيان محسوس وكيفية مزاجية يمتنع اعادة تحققه في المعاد، واعتمدوا قاعدة لم يثبت اطلاقها بل هي خلاف الوجدان وهي (المعدوم لا يعاد) وقال بها الملاحدة والدهرية وبعض اتباع النظريات العصرية المشابهة، وفاتهم ان النفس جوهر مجرد لا يفنى بالموت.

واليوم الآخر يقف وراء كثير من الأعمال والتكاليف الشرعية في الدنيا، وكذا كثير من الأحكام العقلية فليس من فعل في الدنيا منفصل وغير مرتبط بعالم الآخرة، وفي كيفية المعاد ثلاثة اقوال:

(١) سورة الحديد ٣.

١- المعاد الروحاني الجسماني، أي ان الإنسان يبعث يوم القيامة ببدنه الذي كان عليه في الدنيا مع روحه التي هي جوهر مجرد فانها تعود الى البدن بعد ان غادرت بالموت الى عالم المفارقات والسماء الدنيا، وتحل نفس المؤمن في جسد مثالي الى ان تتلبس بالجسد مرة اخرى، وهذا القسم من وجوه المعاد هو المشهور بين علماء الاسلام وبه قال الشيخ المفيد والطوسي والسيد المرتضى والعلامة الحلبي والمحقق الحلبي، كما قال به حجة الإسلام الغزالي والراغب الأصفهاني وجماعة من الحكماء، وبه قال جمهور النصارى، فجاءت الآية لتذكيرهم ولزوم عدم انكار الآخرة وما فيها من الثواب بالجنة والعقاب بالنار.

٢- ان المعاد جسماني، ونسب ملا صدرا في الحكمة المتعالية هذا القول الى جمهور الإسلاميين وعامة الفقهاء واصحاب الحديث بناء على ان الروح عندهم كانت تجري في البدن كسريان النار في الفحم، وهذه النسبة ليست بتامة ومحل تأمل الا ان يراد منها المعنى الأعم للبدن والروح، وللرد على من قال انه معاد روحاني فقط اذ ان البدن مادة للروح.

٣- المعاد روحاني عقلي، وهو الذي ذهب اليه جمع من الفلاسفة واتباع المشائين لأنهم يقولون بانعدام البدن وتعرضه للتلف صوراً واعراضاً، وتمسكوا بقاعدة (المعدوم لا يعاد).

والأصح هو الأول وعليه الأدلة النقلية والعقلية بل هو برهان للإعجاز في خلقه تعالى وللإتصال والإتحاد بين عالم الدنيا وعالم الآخرة، وهو جزء مركب من الثواب والعقاب الذين اخبر عنهما القرآن ولا يتقوم عالم الدنيا والواجبات الا به، لذا ورد عنه عليه السلام: "الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا"، فجاءت هذه الآية الكريمة لرفع الغفلة والتذكير بلطف على انه ركن من اركان الإيمان واصل

من اصول الحكمة، ولتزيل اللبس والغموض فيه وتدفع الشبهات التي يأتي بها الجاحدون والكافرون حوله.

ان اقرار الإنسان بالعالم الآخر يجعله يستعد له بالعمل الصالح ويسعى للثواب ويتجنب اسباب العقاب لأن الدنيا مزرعة الآخرة.

قوله تعالى ﴿ وَالْمَلَائِكَةَ ﴾

وهم خلق الله في السماوات اكرمهم الله عز وجل بجواره وقاموا بتبليغ رسالاته الى الأنبياء والرسل لأنهم الواسطة بين الباري عز وجل والموجودات الارضية، والمفرد ملك وعرف بأنه جوهر بسيط ذو حياة ونطق عقلي، واكثر المتكلمين الذين انكروا الجواهر المجردة وصفوها بانها اجسام لطيفة.

وقولنا ان مسكنهم السماء لا يمنع من وجود بعضهم في الارض والجبال والهواء والماء للقيام بوظائف تتعلق بتعاهد الموجودات ورصد افعال الخلائق وتنظيم احوال الطبيعة والافراد.

وفي الدعاء الخاص بالصلاة على الملائكة في الصحيفة السجادية ورد قوله عليه السلام: (وسكان الهواء والارض والماء)، وهذا لا يتعارض مع القول بأن سكن الملائكة في السماء لأنه الغالب والاصل والمتعارف.

بحث كلامي

وجه من وجوه البر تبتنى عليه نظريات النبوة والتنزيل، لأن الملائكة واسطة بين الله عز وجل وبين انبيائه، بالاضافة الى شرف الخلق وعظيم منزلة الملائكة عند الله.

الملائكة خلق كريم مواظبون على العبادة ويتصفون بحسن الطاعة، وسكنهم السماوات وهم اجسام نورانية تستطيع التشكل باشكال مختلفة من هيئات ومظاهر الخير والصلاح، وعند الفلاسفة

هم العقول المجردة والنفوس الفلكية، والملائكة لا يفعلون الا الخير، والشياطين لا يفعلون الا الشر، اما الجن فيفعلون الخير والشر، لذا كان ابليس من الجن، نعم من الجن من يصدق عليه شيطان.

والإيمان بالملائكة اقرار بالبعثة النبوية لأنهم رسل الله تعالى الأمناء الى الأنبياء، ويتحمل الملائكة الأعمال الشاقة وهم دائبون على اتيان العبادات الباهظة، في جميع الأزمان لا يتخلل عبادتهم فترة سكون او قنوط او ضعف او وهن او فراغ، يجتهدون في الإبتعاد عن التقصير تراهم مواظبين على التسبيح، متلبسين بأعلى مراتب الأخلاص في العبودية، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾^(١)، وفي الدعاء الثالث من ادعية الصحيفة السجادية: "اللهم وحمة عرشك الذين لا يفترون عن تسيحك ولا يسأمون من تقديسك".

ويتصف الملائكة بعظمة الخلق وقرب المنزلة وجلالة الشأن فاقرب الملائكة الى الله اسرافيل وبينه وبين الله سبعة حجب وهو صاحب الصور، الذي عظم دارت فيه كعرض السماوات والأرض كما في الحديث، والقرب هنا ليس مكانياً لأن الله عز وجل منزه عن المكان والجهة بل هو قرب معنوي وبلحاظ العرش وشرف المواضع.

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "ان ملكاً من حملة العرش يقال له اسرافيل، زاوية من زوايا العرش على كاهله، قد مرقت قدماه في الأرض السابعة السفلى، ومرق رأسه من السماء السابعة العليا"، ومن الملائكة جبرائيل وهو الأمين على الوحي الذي يبلغه من غير تحريف وهو مقدم في الرتبة والإكرام، كما ان الملائكة تطيعه وترجع الى رأيه ولما سأله رسول

(١) سورة الأنبياء ١٩.

الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوته قال: "اما قوتي فاني بعثت الى مدائن لوط وهي اربع مدائن وفي كل مدينة اربعمائة الف مقاتل سوى الذراري، فحملتهم من الأرض السفلى حتى سمع اهل السماء اصوات الدجاج ونباح الكلاب، ثم هويت بهم فقتلتهم، واما امانتي فلم اوامر بشيء فعدوته الى غيره"، ويلاحظ في الحديث بيان وسعة كل مدينة بعدد المقاتلين زما يرمز اليه من القوة والسعة والعمران.

ان الإيمان بالملائكة يساعد في تنقيح اعمال العبد للمحاكاة والإقتداء والإعتبار، فقد انعدمت عندهم الشهوات وتنزهوا عن السهو والجهل، وابتعدت عنهم الغفلة لإنقطاعهم للتسييح والطاعة والتقديس للذات الإلهية، ولا يعلم عدد الملائكة الا الله عز وجل وعن أبي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "أطت السماء وحق لها ان تئط، ما عليها موضع اربعة اصابع الا وعليه ملك واضح جبهته"، وهؤلاء الملائكة يقرون بالقرآن ويصدقون باياته ويعلمون عظيم منزلته بين الكتب السماوية، ولا يتسرب الى نفوسهم السأم من العبادة، وهم بهذه الماهية والهيئة دليل عقلي ووجداني متفرع عن السمعي ويؤكد عظيم قدرته تعالى في الخلق ولزوم الانقياد لأوامره وخشية بطشه سبحانه.

والإيمان بالملائكة يجب ان يكون على نحو العموم المجموعي أي ان نؤمن بهم جميعاً.

الفهرست

| الصفحة | الموضوع |
|--------|----------------------|
| ٣ | المقدمة |
| ٥ | البرزخ |
| ٦ | ملك الموت |
| ١٩ | الحضور المبارك |
| ٢٧ | الموت |
| ٣٢ | الموت والذاكرة |
| ٤٣ | المحضر |
| ٤٨ | حاضر المحضر |
| ٥٢ | المكروهات |
| ٥٤ | غسل الميت |
| ٥٦ | شرائط التعميل |
| ٥٧ | آداب غسل الميت |
| ٦٠ | تكفين الميت |
| ٦٢ | قاعدة الحرمة اللاحقة |

| | |
|-----|--------------------|
| ٦٣ | التشييع |
| ٦٨ | الصلاة على الميت |
| ٧٦ | الدفن |
| ٨٠ | من مسائل الدفن |
| ٩٠ | في ضيافة القبر |
| ٩٦ | منكر ونكير |
| ١٠٢ | القبر |
| ١٠٦ | ضغطة القبر |
| ١١٢ | الجريدتان في القبر |
| ١١٥ | عذاب القبر |
| ١١٩ | الأمل |
| ١٢٨ | كيفية عذاب القبر |
| ١٣٥ | البكاء على الميت |
| ١٣٩ | النوح على الميت |
| ١٤٢ | قراءة القرآن |
| ١٤٢ | زيارة القبور |

| | |
|-----|--------------------------|
| ١٤٥ | الذي لا يدفن |
| ١٤٦ | شبهة الأكل والمأكول |
| ١٤٨ | نشر القبور |
| ١٥٠ | سفر الروح |
| ١٦٥ | البرزخ والقضاء على الميت |
| ١٧٠ | الأنبياء والموت |
| ١٧٥ | مجالس الفاتحة |
| ١٧٧ | في رحاب الدعاء |

عن الكاظم عليه السلام: رأى قبراً يحفر فقال: ان شيئاً هذا آخره
لحقيق ان يزهد في اوله وان شيئاً فعدا اوله لحقيق ان يخاض آخره.

نشكر سماحة

حجة الاسلام السيد طاهر السلطان لأياديه الكريمة في نشر هذا
الكتاب.

كان يقول: ايها الناس اتقوا الله واعلموا انكم اليه ترجعون، فتجد كل نفس ما عملت في هذه الدنيا من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، ويحك ابن آدم الغافل وليس بمغفول عنه ابن آدم ان اجلك اسرع شيء اليك، وقد اقبل نحوك حثيثاً يطلبك ويوشك ان يدركك وكأن قد اوفيت اجلك وقبض الملك روحك، وصرت الى المنزل وحيداً فرد اليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكان منكر ونكير لمساءلتك وشديد امتحانك الا وان اول ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبده، وعن نبيك الذي ارسل اليك وعن دينك الذي كنت تدين به وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن امامك الذي كنت تتولاه ثم عن عمرك فيما افنيته ومالك من اين اكتسبته وفيما اتلفته؟ فخذ حذرك وانظر لنفسك وأعد الجواب قبل الإمتحان والمساءلة والإختبار، فان تك مؤمناً تقياً، عارفاً بدينك، متبعاً للصادقين موالياً لأولياء الله، لقاك الله حجتك وانطق لسانك بالصواب فاحسنت الجواب فبشرت بالجنة والرضوان من الله والخيرات الحسان، واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان، وان لم تكن كذلك تلجلج لسانك ودحضت حجتك وعميت عن الجواب، وبشرت النار واستقبلتك ملائكة العذاب بنزل من حميم وتصلية جحيم.

لقد كانت صور الآخرة واهوال المحشر المتجسدة امام عينيه وكأنه يراها، الأمر الذي انعكس على سلوكه مع الناس وطبعه بصيغة الخشوع لله والإعراض عن شؤون الدنيا ومنازلها فتراه يعطي الدروس العظيمة في الحلم والحكمة وضبط النفس عن هيجان الغضب من غير ان تستفزه الإساءة الموجهة.

(استقبله احدهم بالسب والشتيم من غير علة، فاجابه الإمام عليه السلام بلطف وسكينة ومن غير ان تبدو عليه امارات التأثر والسخط: يا فتى ان بين يدينا عقبة كؤوداً فان جزت منها فلا ابالي بما تقول وان اتحير فيها فانا شر مما تقول^(١))، وكان كل جواب منه حكمة ودرساً يفتح آفاقاً من المعرفة ومناسبة للرفعة وكمال الأدب، فهو يقابل الإساءة بالإحسان والعضو تأديباً وعملاً بلغة القرآن واحكامه، قال تعالى ﴿ وَيَذُرُّونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾^(٢).

باب ضغطة القبر

سعد بن معاذ قد مات ، فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقام أصحابه معه ، فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب ، فلما حنط وكفن وحمل على سريره تبعه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بلا حذاء ولا رداء ، ثم كان يأخذ يمينه السرير مرة ، ويسرة السرير مرة حتى انتهى به إلى القبر ، فنزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى لحده وسوى عليه اللبن وجعل يقول : ناولوني حجرا ناولوني ترابا ، فيسد (٦) به ما بين اللبن ، فلما أن فرغ وحثا عليه التراب وسوى قبره قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " إني لاعلم أنه سيبنى ويصل البلا إليه ، ولكن الله عزوجل يحب عبدا إذا عمل عملا أحكمه " فلما أن سوى التربة عليه قالت ام سعد من جانب : يا سعد هنيئا لك الجنة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا ام سعد مه لا تجزمي على ربك ،

(١) بحار الانوار ٩٦/٤٦.

(٢) سورة الرعد ٢٢.

فإن سعدا قد أصابته ضمة ، قال : فرجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورجع الناس فقالوا : يا رسول الله لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد ، إنك تبعت جنازته بلا حذاء ولا رداء ، فقال (صلى الله عليه وآله) : إن الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء فتأسيت بها ، قالوا : وكنت تأخذ يمينا السرير ويسرته (٧) قال : كانت يدي في يد جبرئيل (عليه السلام) آخذ حيث يأخذ ، فقال (٨) : أمرت بغسله وصليت ❖ (هامش) ❖ (١) في المصدر : حدثنا سعيد بن ابى النصر بن منصور أبو عثمان البزاز . (٢) امالي الصدوق : ٢٥١ . (٣) نوح خ ل . (٤) في المصدر : عمرو بن اليسع عن عبد الله بن اليسع عن عبد الله بن سنان ولعله وهم . (٥) (ان خ ل . أقول : في امالي الشيخ : اتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) آت فقال له . (٦) في المصدر : فسد . (٧) في المصدر يمينا السرير مرة ويسرة السرير مرة . (٨) في المصدر : فقالوا . على جنازته ولحدته في قبره ، ثم قلت : إن سعدا قد أصابته ضمة ، قال : فقال (صلى الله عليه وآله) : نعم إنه كان في خلقه مع أهله سوء)